آلام فيرتير

تاليف/ يوهان جوته
تعريب /اسامه عبد الرحمن

ما أسعدني بالابتعاد الا ما أعجب قلب الإنسان ايتها الصديقة العزيزة فهأنذا أفارقك - انت التي لم اكن أطيق فراقك لانني احبك وأعزك اشد الاعزاز - ومع هدا اشعر لفراقك بالسعادة واني لاعلم انك ستصفحين عني لا محالة الا يحيك القدر احابيل الهوى لا لشيء الا لتعذيب امثالي ؟ اي ليونورا المسكينة ومع هذا فاللوم لا ينصب على كاهلي

فهل كان الذنب ذنبي ان هواي تولد في قلبها الرقيق في الوقت الذي كانت فيه اختها تسري عني بكل ظرف ؟ ولكن هل معنى هذا أنني أخلو من الملام كل الخلو ؟ او لم اشجع عواطفها نحوي ؟ او لم تفتنني بما أبدته طبيعتها الصادقة نحوي ؟ ولكن هل يحق للمرء أن يتهم نفسه : أعدك با صديقتي العزيزة أن أصلح من شأني ، واستمتع بالحاضر ، واطسوي صفحة الماضي ولا شك أنك على صواب يا خير صديق اذ تقولين انه لخير للبشر لو كفوا عن تقليب ذكريات الأحزان الغابرة بخيالهم المتقد ، بدلا من تحمل حاضر هم بصبر وطمأنينة ، ولكن الله وحده يعلم لماذا جبل الناس على هذا

وارجوك أن تخبري والدتي اني سأدبر مسالتها الخاصة على احكم وجه أستطيعة ، وسأبلغها النتيجة في اقرب وقت ممكن وقد زرت عمتي ووجدتها ليست على ما يرميها به اصدقاؤنا من الشكاسة ، فهي امرأة مرحة ، ذات حيوية ، وهي اطيب الناس قلبا وقد ذكرت لها ما أضيرت به والدتي في ذلك النصيبا من ميرانها الذي حيل بينها وبينه ، فأدلت لي بالدوافع والأسباب التي أملت عليها تصرفاتها ، وبالشروط التي تقبل على اساسها التسليم لوالدتي بحقها كله ، بل انها مستعدة أن تصنع لها عندئذ اكثر مما طلبناه منها ولا استطيع ان اكتب الان المزيد في هذا الشأن ويكفي أن تقولي لوالدتي ان كل شيء سيمضي على ما يرام ، وقد لاحظت ايتها العزيزة في هذه المناسبة ايضا أن سوء الفهم والاهمال تنجم عنهما من

المساوىء والأضرار اكثر مما ينجم عادة عن سوء النية والرغبة في الشر والالتواء وفيما عدا هذا اجدني بخير حال هنا فالعزلة في هذا الفردوس الأرضي بلسم لروحي ، والربيع البازغ يشرح صدري المحدود بوعوده السخية فكل شجرة وكل شجيره ، حافلة بالأزاهير ، حتى أن المرء اليمنى لو تحول إلى فراشة كي يحوم ويرف على هذا البحر المترامي من العبير ويجد ملء كيانه فيه

والدة نفسها غير مستحبة ، ولكن كل ما حولها من المناظر الطبيعية جميل خلاب وهذا ما حدا بالمرحوم الكونت م0 أن يغرس روضة على منحدر أحد التلال التي تتقاطع هنا في تباين ساحر ، وتتألف من هذا التقاطع اجمل الوهاد والوديان وهذه الحديقة غاية في البساطة ، ومن السهل أن تدركي منذ نطأها قدماك ، انها لا تدين بتخطيطها لباني عالم بالتخطيط بلى لرجل أحب أن يسلم قياده ها هنا لافراح قلبه الحساس و لقد ذرفت الدمع مدرارا على ذكرى صاحبها الراحل بين ما تبقى م ن البن الحسيني الذي كان قد ابتناه هناك ، وكان ملاذه الاثير لديه ، وقد صار الان ملاذي وعن قريب سأغدو مالك هذه الروضة ، و قد لازمني البستاني في الأيام القليلة الأخيرة، ولن يكون الخاسر بهذا التعلق

لقد استولت على نفسي بأسرها طمأنينة رائعة ، على نحو ما يحدث لي في بواكير ايام الربيع التي استمتع بها من أعماق فؤادى ، فأنا هنا وحدي شاعرا بكل سحر الوجود في هذه البقعة التي جعلت كي تسعد بها ارواح مثل روحي ، واني لسعيد جدا اينها الصديقة العزيزة ، ومستفرق كل الاستغراق في الاحساس بهذه المعيشة الهادئة ، حتى انني اهملت ملكاتي ومواهبي ، فلا شك اني عاجز عن رسم أي شيء - مهما ك ان يسيرا في غمرة اللحظة الراهنة ، ومع هذا اشعر انني لم اكن فنانا اقدر ولا أعظم مما انا الان فعندما ارى البخار يح ف بي في الوادي الجميل ، وقد غمرت أشعة الشمس

اعالي الأشجار ، عاجزة عن اختراق اوراقها وغصونها الملتفة ، اللهم الا شعاعات يسيرة تتسلل الى ق د س أقداسي ، انطرح ارضا بين الأعشاب الطويلة على حافة الجدول الرقراق ، وتتكشف لي عوالم لا حصر لها من النباتات التي تنبثق من الأرض التي افترشها جسمي ومن الهوام الصغيرة التي تمارس حياتها بين الجذور في جد وداب وخفاء ، وعندئذ أحس أنني في حضرة العلي القدير الذي صاغنا على صورته ، واشعر بأنفاس ذلك الحب الكوني الذي يمدنا بالقدرة على الحياة ، وقد اخذ يرف من حولي في سعادة ابدية وحينما تألف عيني الظلمة ويتسع مداها ايتها الصديقة ، ويخيل الي ان الارض سكنت روحي واستولت عليها كأنها عشيقة محبوبة ، عندئذ أتمنى لو استطعت ان اصف كل هذه التصورات ، واخط على صفحة الورق كل هذه المشاعر التي تعيش وتتزاحم في داخلي ، لتكون هذه الصور مرأة روحي ، كما صارت روحي مرآة الاله اللامتناهي ولكن ذلك يتجاوز قدرتي ايتها الصديقة العزيزة ، ولذا تجديني ارزح - بل اغرق - تحت عباء ه ذه الرؤى وروعتها لست أدري هل ترتاد هذه البقعة ارواح مخادعة ، أم أن الأوهام السماوية التي تعمر فؤادي هي التي تجعل كل شيء فيما حولي يبدو وكانه الفردوس ، فأمام البيت نافورة تشدني اليها كالمسحور فاذا م ا هبطت على المنحدر الهين وجدت قوسا ، القيت تحته بمقدار عشرين خطوة جدولا في صفاء البللور يتدفق من نبع في صخرة كالرخام والجسدار الضيق الذي يحدق بهذا القوس من اعلي ، والأشجار العالية التسى تحفه بالجدول ، والرطوبة المنعشة التي تشع من المكان تترك كلها ف ي النفس انطباعا علويا ، ولا يمر يوم لا اقضي منه هناك ساعة من الزمان ، فأرى الصبايا يفدن من البلدة للحصول على شيء من مائه الصافي ، وهي مشغلة بريئة للوقت ، وضرورية ايضا، كانت فيما سلف من الزمان مهمة تناط بنات الملوك والا قيال وحينما أخلد للراحة هناك تراودني خواطر الحياة البرية

القبلية القديمة واراها قد انعشت فيما حولي ، فسأرى اسلافنا الفابرين وكيف كانوا ينشئون صداقاتهم واحلا فهم إلى جانب النافورة ، وكيف كانت الأرواح الخيرة تسهر على حراسة النواف ير والجداول ، وكل من جهل هذه المشاعر لن يذوق الراحة الكاملة بمسنى الكلمة الى جوار نافورة بعد كل يوم مجهد من ايام الحسن تسألينني هل ترسلين الي كتبا ، وانا اناشدك الله أن تعفيني من هذا الخير فلا حاجة بي الى ما يقودني ويثيرني ويبث الحرارة في نفسي ، لان فؤادي يختمر فيه من تلقاء نفسه ما فيه الكفاية لي ، وان اردت شيئا يهدهدني وجدته على اكمل وجه في هوميروس وكثيرا ما أجدني بحاجة الى ما يخفف عني ما في دمائي من وقدة الحمى المحرقة ، ولا أحسبت شهدت لفؤادي مثيلا في التقلب ، ولكن اتراني بحاجة الى ان اعترف لك بشيء من هذا يا صديقتي العزيزة ، التي كثيرا ما شهدت انتقالي المفاجيء من الحزن والأسى الى الفرح المسرف ، ومن الانسجام والتناغم العذب الى الاندفاع العنيف اني لاعالج قلبي المسكين وكأنه طفل عليل ، والبي له كل رغبة ، فلا تشيري الي شيء من هذا بعد الآن ، فهنالك أناس غير خليقون أن يعذلوني عليه لقد أصبح عامة أهل هذا الموضع يعرفونني ، ويحبونني ، ولاسيما الأطفال منهم ، فعندما خالطتهم في البداية ، واستفهمت بلهجة وديةu ن شتى أحوالهم ، ظن فريق منهم اني اريد السخريه بهم فانصرفوا عني في سخط بالغ ، ولكني لم ادع ذلك يحزنني ، بل ازداد شعوري بما لاحظته في كثير من الأحيان من قبل ، فالأشخاص ذوي الاقدار او المكانة ينزعون الى التباعد عن عامة الناس ، وكأنهم يخشون أن يفقدوا أهميتهم بمثل هذا الاتصال ، أما المتسكعون ومن يميلون إلى الهدر فيتصنعون النزول إلى مستواهم لا لشيء الا لكي يجعلوا الفقراء يزدادون شعورا بحدة سلاطتهم وقحتهم واني لأعلم تمام العلم اننا لسنا سواسية ولن نكون ، بيد ان رايي أن من يتحاشى العامة كي لا يفقد احترامه

ملوم كماd لام الجبان الذي يتوارى من عدوه لانه يخشى الهزيمة ومنذ ايام ذهبت الى النافورة ، فوجدت هناك فتاة خادمة شابة كانت قد وضعت جرتها على الدرجة السفلى ، ووقفت تتلفت لترى هل احدى رفيقاتها قادمة لتضع لها الجرة على راسها ، فجريت ونظرت اليها، وسألتها : اساعدك ايتها الصبية الحسناء فاحتقن وجهها من شدة الخجل وهتفت : اوه يا سيدي فقلت لها لا كلفة في الأمر فسوت بيدها غطاء راسها ، وساعدتها فشكرتني ، ثم صعدت الدرج نجحت في عقد صلات تعارف شتى ، ولكني لم أجد حتى الان مجتمعا بمعنى الكلمة ، ولست أدري ما سر جاذبيتي بالنسبة للناس ، فالكثيرون منهم يستلطفونني ويربطون أنفسهم بي ، وعندئذ أشعر بالاسف عندما يكون الطريق الذي نسير فيه معا قصير المدى وأن سألتني عن الناس هنا اجبتك انهم كسائر الناس في كل مكان فالجنس البشري شديد التشابه في رتابته ومعظمهم يعدون معظم الوقت للحصول على ما يقيتهم ، أما القسط اليسير من الحرية المتاح لهم فيزعجهم بحيث يجتهدون بشتى الطرق كي يتخلصوا منه ، وهكذا قدر الانسان بيد انهم قوم على ما يرام ، وحينما انسى نفسي وأسهم في المسرات البريئة التي لم تحظر بعد على الفلاحين فأمتع نفسي - مثلا في طلاقة واخلاص حقيقيين ، حول مائدة ، او ارتب رحلة او حفلا راقصا ، فان ذلك يجدي مزاجي احسن الجدوى وكل ما هنالك أنه ينبغي علي ان انسى أن ملكات اخرى كثيرة هاجمة في أعماقي ، لا تجد لها نشاطا ، ولا بد لي ان اخفيها عنهم آه لكم يؤثر في نفسي هذا الأمر بصورة مخيفة ولكن اساءة الفهم قدر أمثالنا واسفاه لقد رحلت صديقة شبابي ليتني ما عرفتها قط وانى لا قول لنفسي انك لحالم اذ تنشد ما لن تجده في هذه الدنيا ولكنها كانت لي ، وقد تملكت يوما ذالي القلب ، وتلك النفس النبيلة، وكنت ابدو في حضرتها اكثر مما أنا في الحقيقة ، لانني عندئذ كنت كامسسمل الكينونة وهل كانت ملكة من ملكاتي تظل دون تمام نشاطها وانا

بين يديها ؟ بل كانت المشاعر التي يجيش بها فؤادي تنطلق انطلاقا او لم تكن علاقتنا نسيجا أبديا من العواطف والبديهة الحاضرة المتوقدة ، حتى انها لنحمل طابع العبقرية في بذواتها المسرفة ؟ ولكن واسفاه أن السنوات الملائل التي كانت تكبرني بها قد عجلت بها الى القبر من قبلي ولن انسى ابدا عقلها القوي ولا صبرها الطويل ومند بضعة ايام التقيت بشاب اسمه ف0 فيه صراحة وتفتح ، وشكله لطيف الى اقصى حد، غادر الجامعة لتوه ، ولا يرى نفسه احكم الحكماء الا انه يعتقد أنه يعرف اكثر مما يعرفه سائر الناس ، وقد جد واجتهد كما لاحظت ذلك في مناسبات كثيرة ، وهو على الجملة يختزن معلومات تشيره ولما علم أني اكثر من الرسم ، وأعرف اليونانية القديمة وهما امران عجيبان في هذه البقمة جاءتي ليعرض أمامي كل مخزونه م ن المعرفة والدرس ، وقال لي انه قرا الجزء الأول من نظرية سولنزر ، وان لديه مخطوطا من تأليف هيني عن الآثار القديمة وتركته يقول ما فال و نعر فت ايضا على شخص فاضل جدا ، وهو قاضي الناحية الصريح الطيب القلب وقيل لي انه من الطف الأمور أن يراه المرء وسط اطفاله وعددهم تسعة والناس يطرون كبرى بناته على الخصوص وقد دعاني الزيارته ، وفي نيتي ان ازوره في أول فرصة وهو مقيم في احد اكواخ الصيد الملكية ، وهو على مسيرة ساعة ونصف على الاقدام وقد حصل على اذن بسكني ذلك الكوخ على اثر وفاة زوجته ، لأنه من المسير المؤلم له أن يظل بعد فقدها قاطنا في المدينة ، بمبنى المحكمة

وقد تعرفت ايضا على بعض الأشخاص من غريب الأطوار ، ووجدت عشرتهم غير مستحبة من وجوه كثيرة ، ووجدت اسلوبهم في اظهار الصداقة لا يطاق والآن وداعا ، وأحسب هذا الخطاب خليقا ان يسرك ، لصبغته التاريخية يطاردني الإحساس بأن حياة المرء أن هي الا حلم فعندما اتامل الحدود الضيقة التي حبست بداخلها أنشطتنا وملكاتنا ، وكيف

تتبدد علاقاتنا في سبيل الحصول على الكفان من الضروريات التي لا غاية من ورائها بعد كل شيء سوى اطالة حياتنا التعسة ، وأن كل ما نحصل عليه من السرور بصدد جهودنا او ابحاثنا لا يفضي الا الى استسلام سلبي ، بينما نحن نسلي انفسنا بتزيين جدران سجننا بالاشكال البهيجة والمناظر الخلابة اقول عندما أتأمل هذا كله - يا ولهلم - الوذ بالصمت ، وافحص وجودي، فأجد ثمة عالما ، ولكنه على الأرجح عالم من الأخيلة والرغبات الغامضة ، وليس عالما من الوضوح والتميز وقوة الحياة ، وحينئذ يعوم كل شيء أمام حواسي ، وابتسم واحلم ، وأنا أشق طريقي في الحياة

وجميع الاساتذة والعلماء متفقون في الراي على أن الأطفال لا يدر كون علة رغباتهم ، ولكن الكبار ايضا يجوبون الأرض كالاطفال ، غير عالمين من اين جاءوا ، ولا ايان يذهبون ، وقلما توجههم الدوافع الثابتة ، فهم كالأطفال الصغار يسيرون وراء اغراء الحلوى ، ويرهبون العصا، بيد أنه ما من احد يعترف بهذا ، مع أنه صواب فيما ارى واني لاعرف ماذا عسيت ان تقول ردا على هذا ، وأنا على استعداد للاقرار بأن أسعد الناس هم من يشبهون الصغار ، فيتسلون بالألاعيب ، وبالباس الدمى او تعريتها من ثيابها ، ويرقبون الصوان الذي تدخر فيه الأم الحلوى ، حتى اذا ظفروا بقطعة منها اكلوها بنهم وهتفوا : هل من مزيد اولئك يقينا هم السعداء ، ولكن الآخرين ايضا مغبوطون، اعني من يضفون على مشاغلهم الصغيرة الشأن ، بل وعلى أهوائهم احيانا ، الألقاب الطنانة ، وكأنها من جلائل الامور التي تستحق التمجيد ما الانسان الذي يعرف كم هذا باطل كله ، ويلاحظ كيف يحول المواطن الدءوب في لذة حديقته الصغيرة الى جنة ، وبأي صبر يتابع الفقير طريقه الشاق وهو يرزح تحت وقر ما ينوء به من أعباء وكيف يتوق الجميع على السواء الى مزيد من نور الشمس اجل ، هذا المرء سعيد ايضا ، لانه بشر ، ويعيش في سلام مع نفسه لانه يبدع في سريرته عالمه الخاص

به ومهما كان مجاله محدودا ، نحسبه انه يحتفظ في صدره بالشعور العذب بالحرية ، وأنه يعلم أن بوسعه أن ينطلق من سجنه متى شاء تعرف من قديم طريقتي في الاستقرار باي مكان ، وكيف اختار كوخا صغيرا في بقعة مستكنة ، فأخلد اليهما مهما كانت المضايقات وهنا ايضا اكتشفت مكانا مريحا هادئا يتميز في نظري بسحر خاص نعلى مسافة فرسخ من البلدة مكان اسمه» فالهايم» يقع على جانب تل ، واذا سرت في احد الدروب المتفرعة من القرية تكشف لك منظر الوادي كله وتعيش ها هنا امراة طيبة عجوز تدير خانا صغيرا وتبيسع فيه النبيذ ، والجعة ، والقهوة ، وهي مرحة لطيفة برغم تقدمها في السن واهم مزايا هذه البقعة وجود شجرتي زريز فون ، تبسطان اغصانهما الهائلة فوق المرج الصفير الواقع امام الكنيسة، وتحيط به اكواخ الفلاحين واهسراء غلالهم و قلما وقع بصري على مكان في مثل هذه العزلة والسكينة وكثيرا ما جعلتهم ينقلون اليه مائدتي ومقعدي من داخل الخان ، وهنالك اشرب قهوتي ، وأطالع هوميروس وقد ساقتني الصدفة الى ذلك الموضع ذات عصر بديع ، فوجدته خاليا تماما ، لان الجميع كانوا ف ي الحقول ، اللهم الا صبي في نحو الرابعة من عمره، كان جالسا على الأرض ، وقد وضع بين ركبتيه طفلا في نحو الشهر السادس من العمر ، و جهل يضمه الى صدره بكلتا ذراعيه ، بحيث جعله كالجالس في كرسي وتير ذي ذراعين ، وبرغم الحيوية التي كانت تنقد في عينيه السوداوين خلل ساكنا في موضعه تمام السكينة فسحرني هذا المنظر ، فجلست على محراث كان قبالنه ورسمت بكل حبور هذه الصوره الصغيرة الحنان الاخوي ، وأضفت اليها سور النبات القريب ، وباب مخ زن القمح ، وبعت عجلات العربات المحطمة حسبما وجدتها ملقاة هناك وفي مدي ساعة وجدتني قد انجزت رسما صحيحا للغاية ،ومثيرا للاهتمام من غير أن أضيف اليه شينا من عندي اطلاقا ، الامر الذي دعاني لتخصيص كل وقتي

مستقبلا للطبيعة ، فهي وحدها المعين الذي لا ينضب ، والكفيل بنكوين اعظم اساتذة رالفن وقد يقال الكثير عن القواعد، والكثير ايضا عن قوانين المجتمع ، وصحيح أن الفنان الذي يدين بتكوينه لهذين المصدرين لن ينتج شيئا مفرط الرداءة او مقززا ، كما أن المرء الذي يراعي قوانين اللياقة ويطيعها خليق الا يكون سمجا لا يطاق من جانب جيرانه ، وجدير الا يكون وغدا و أكن مهما قلت واعدت في أهمية القواعد، فهي على كل حال تدمر الشعور الأصيل بالطبيعة ، وتدمر كذلك التعب -سير الصادق عنها ولا تقل لي : ان هذا أمعان في التشرد، فالقواعد تكبيح الاغصان الفضولية وتشذبها نحسب ما الى ذلك ولسون اسوق الي في هذا الصدد مثلا ايها الصديق الكريم فهذه الأشياء اشبسته بالحب فالشاب الدافيء القلب يفدو شديد الارتبادله بفتاة ، ويتذي كل ساعات يومه في صحبتها ، ويهدم في ذلات السبيل صحته ويبدد ثروته كي بثت لها انه يتعلق بها كل التعلق ، ثم يأتي رجل من رجال المجتمع ذو مكانة واحترام ويقول له : الحب شيء طبيعي ايها الشاب ، ولكن ينبغي أن تحب في نطاق محدود ، فقسم وقتك ، وخدمت جانبا منه للاشغال ، وامنح اوقات راحتك واسترخائك لمحبوبتك ، وأحسبه مقدار ثروتك ، وخصص جانبا من فائضها لتقديم الهدايا اليها ، لا في اوقات متقاربة ، بل بمناسبة عيد ميلادها ، وما إلى ذلك من الأحايين فاذا اتبع الشاب هذا النصح غدا عضوا نافعا في المجتمع ، واني أنصح كل أمير أن يعينه في منصب ، ولكن سلام على حبه عندئذ ، وعلى عبقريته أن كان فنانا آه يا صديقي لماذا لا ينجس فيض العبقرية الا نادرا جدا ، ونادرا جدا ما يتدفق جدولا طاميا يغمر روحك المأخوذ ؟ ذلك انه على كلا جانبي هذا الجدول القدسي اقام أناس باردون محترمون مساكنهم ، ولذا يمكن ان تتأذى حدائق ازهارهم وبيوتهم الصيفية بفيضان ذلك المجرى المهيب ، ومن ثم حفروا الخنادق ، واقاموا المتاريس والسدود ، كى يصدوا ذلك الخطر

الماحق لقد استغرقتني النشوة واندفعت في التشبيهات ونسيت ان احدثك بما كان من امر الطفلين وكنت قد انغمست في تأملاتي الفنية التي وصفتها بايجاز في خطاب الأمس ، وظللت جالسا على المحراث مفدار ساعتين من الزمان وقبيل المسساء اقبلت امرأة شابة وقد علقت بذراعها سلة تجري نحو الطفلين اللذين لم يكونا قد تحركا طيلة ذلك الوقت و صاحت الشابة عن بعد : «يا لك من غلام طيب يا فيليب وحيتني فرددت عليها تحيتها ونهضت فاقتربت منها ، وسألتها اهي والدة الطفلين الجميلين ، قالت : نعم ، وأعطت اكبرهما كسرة خبز ، ثم تناولت الاصفر بين ذراعيها وقبلته بحنان الأم وقالت : لقد تركت طفلي في رعاية فيليب بينما ذهبت الى البلدة لابتاع شيئا من خبز القمح، وشيئا م ن السكر ، وقدرا من الفخار ورايت هذه الأشياء في سلتها التي ك ان الغطاء قد سقط عنها ، واستطردت هي : فاني بسبيل أن أصنع الليلة شيئا من المرق لصغيري هانز وهو اسم الطفل الأصفر لان ابني الأكبر كسر لي قدري امس وهو يتصارع مع فيليب على ما تبقى من محتوياتها سألتها عن ابنها الأكبر هذا ، فلم يكد يتسع لها الوقت لتقول لي انه يقود أوزتين الى الدار من المرعي ، حتى رايته قادما يعدو ، واعط ي فيليب عسلوجا من الصفصاف وتحدثت برهة قصيرة مع المرأة ، فعرفت انها ابنة معلم المدرسة ، وان زوجها مسافر الى سويسرا لتحصيل مبلغ من المال تركه له احد ذوي قرباه وقالت في صدد ذلك : لقد أرادوا أن يفشوه ، ولم يردوا على خطاباته ، فذهب الى هناك بنفسه وأتمنى الا يكون قد اصابه حادث ، لاني لم اتلق رسالة منه منذ سفره وفارقت المراة آسفا ، بعد أن أعطيت كل ولد من ابنائها كرويشزرا وزدت الأصغر منهم كرويتزرا اخر ، ليشتري شيئا من خبز القمح لحسائه عندما تذهب المراة القادمة الى البلدة

واؤكد لك يا صديقي العزيز آن مراى مثل هذه المخلوقة يهدىء نفسي المضطربة عندما تكون خواطري في عنفوان جيشانها ، فهي تتحرك في

خلو بال داخل حدود دائرة وجودها ، وتنشد ما يسد حاجاتها يوما بيوم، وعندما ترى الاوراق تتساقط لا يثير ذلك في نفسه شيئا سوى أن الشتاء على الابواب ولقد أكثرت من الذهاب الى هناك بعد ذلك مرارا متوالية ، والفني الأطفال ، وأعطي كلا منهم قطعة من السكر عندما اشرب قهوتي ، ويشاركونني اللبن والخبز والزبد في المساء ، ويحظون بكر ويتزر هم دائما يوم الأحد، لأن المرأة الطيبة لديها امر مني باعطائهم اياه اذا لم أذهب الى هناك بعد قداس المساء وهم لفرط ألفتهم لي يروون لي كل شيء ، ويسليني كثيرا ان ار قب حالاتهم المزاجية ، وبساطة سلوكهم عندما يجتمع معهم نفر من أطفال القرية الاخرين وقد تعبت كثيرا كي اهدىء من قلق الام التي كانت تخشي كما تقول ان يضايقوا السيد ان ما ذكرته لك اخيرا عن الرسم يصدق ايضا على الشعر ، فانه من الضروري لنا أن نعرف فحسب ما هو الممتاز حقا ، ونحاول التعبير عنه وهذا هو قصارى القول وقدرات اليوم مشهدا لو روي بأسلوب أدبي لكان أجمل قصيدة رعوية ولكن ما حاجتي إلى الحديث عن الشعر والمشاهد والقصائد الرعوية ؟ أليس في وسعنا أن نبتهج بالطبيعة من غير ان نلتجيء الى الفن ؟ ولئن توقعت شيئا رائعا بديها من هذه المقدمة فأنت مخطىء ، فهي لا تنغلق الا بفلام فلاح اثار في نفسي اهتماما حارا ، وسأروي لك قصتي في سرد رديء كالعادة ، وستراني كالعادة مولعا بالمبالغة ، ولكنها فالهايم مرة أخرى - ودائما فالهايم - تأبي الا ان تمدني بهذه الظاهرات المدهشة كانت جماعة قد جلست خارج البيت تحت شجرتي الزيزفون لشرب القهوة ، ولم تعجبني هذه الصحبة ، ولذا تأخرت عنهم قليلا متذرعا بعلة او بأخرى ، وخرج فلاح من بيت مجاور وشرع يعمل في اصلاح المحراث الذي رسمته أخيرا، وسرني مظهره ، فتحدثت اليه، وسألته عن ظروفه، وتعرفت به ، وسرعان ما ظفرت بثقته كعادتي مع أمثاله ، فقال انه في خدمة ارملة شابة تعتز بخدمته كثيرا وأطنب في الحديث

عن سيدته ، واطراها ايما اطراء ، حتى ادركت انه غارق في حبها حبا يائسا، وقال » :انها لم تعد شابة ، وكان زوجها السابق يسيء معاملتها ، لذا قررت الا تتزوج مرة اخرى لكن لهجته دلتني على انها فتنته ايما فتنة ، وعلى انه يتمنى من كل قلبه لو اختارته لإخماد ذكرى سوء معاملة زوجها الراحل لها واراني بحاجة الى سرد الفاظه بحروفها كي اصف عمق تعلق هذا المسكين وصدق تولهه بها والواقع أن ذلك يقتضي مواهب شاعر عظيم كي ينقل تعبير ملامحه ، وتناغم صوته وأتقاد نظراته : وما من الفاظ يمكن ان تصور الحنان الفائض من كل حركة من حركاته ، وكل لمحة م ن لمحاته وعبثا اجتهد في نقل هذا المشهد لك بما يوفيه قدره ومست اوتار قلبي امارات ذعره خشية أن أسيء تصور موقفه بازاء مخدومته ، او يساورني الشك في نظافة سلوكها ولا سبيل إلى التعبير عن الاسلوب الساحر الذي وصفه به قامتها وشكلها ، وكيف انها - وان تجاوزت؛ نضرة الشباب - قد قيدته الى شخصها واني لأدع هذا الخيال والحق انني لم أصادفا في حياتي كلها ولم أتخيل قط امكان مثل ه ذا التوله والأعزاز ، مقترنين بكل هذا النقاء فلا تلمني اذا قلت لك أن ذكرى هذه السداجة وهذا الصدق قد انطبعت انطباعا عميقا في اغوار نفسي ، وان صورة هذا الاخلاص والحنان تراودني حيثما كنت ، وان قلبي يتوهج في صدري لهذه الذكرى كأنما أتقدت فيه السنة اللهب وانا الان مشغول برؤياها في أقرب وقت او لعل الأحجي الا اراها، وأن أكتفي برؤيتها من خلال عيني محبها ، فقد لا تبدو في عيني على نحو ما تتراءى الان لي ، فلماذا ادمر صورة حلوة لماذا لا اكتب اليك ؟من حقك ان تعرف وقد يعن لك أن توجه الي هذا السؤال ولكن كان ينبغي أن تخمن أنني بخير ، اي انني باختصار - قد تعر دت الى شخص استطاع أن يستدوز على قلبي و قد حدث هذا ، لا أدري كيف فمن العسير ان اقدم لك بيانا شافيا عن الطريقة التي بها تعرفت على الطف النساء و آنسهن فأنا

امرؤ سعيد قرر العين ، ولكني مؤرخ هزيل ملاك هي ولكن هذا القول هراء فكل امرىء يصف محبوبته هذا الوصف ، ومع هذا اجد من المستحيل على ان اخبرك كم هني كاملة المحاسن او لماذا هي كاملة إلى هذا الحد الكبير ، ولكن بحسبك ان اقول انها أسرت جميع حواسي ففيها من البسالة الشيء الكث ير جدا ، مقترنة بالكثير جدا من الفهم - وهي دمثة جدا ، بيد انها مع هذا ذات همة وعزم ، فعملها ثابت الدعائم ، حياتها شديدة النشاط ولكن هذا القول كله هراء قمىء لا يرقى إلى مستوى سمة واحدة من سمات خلقها وخلفها و في فرصة أخرى ـ بل كلا ليس في فرصة اخرى ، وانما الأن : في هذه اللحظة و فورا ، سأخبرك بكل شيء عنها الان ولا فلا والحقيقة ـ بيني وبينك سه أنني أو شكتد منذ بدأت، همدا الخطاب أن اضع القلم من يدي ، وآمر باسراج جوادي لاتعطلق به مع اني كنت قد آليت على نفسي الا أمتطيه اليوم، بيد اني لا اكفا ـ بين عظة واخرى ـ من الاندفاع الى النافذة لارى اين بلغت الشمس م ن الارتفاع في قبة السماء ، لم استطع ان أكبح جماح نفسي ، ولم يكن لي من الذهاب اليها بد و قد تدنت انوي با فله لهم ، وسأكتب الي وأنا أتناول مشائى فما كان أبهج روحي برؤياها وسط اطفالها الاعزاء الحمدان : ثمانية من الاخوة والاخوات ؟

ولكني اذا أمضيت في الحداث على هذا المنوال فلن يفيدك هذا حتى نهاية خطابي شيئا أكثر مما كنت تعرفه في بداته فصبرا أذن ، وسأحاول ان احمل نفسي على نزو بدلك بالتفصلات لقد ذكرت لك منذ بضعة ايام انني كنت قد تعرفت بالعميد س قاضي الناحية ، وانه دماني للذهاب الي زبارته في معتكفه ، او على الأصم في مملكنه الصغيرة بيد اني اهمات في نلبسة هذه الدعوة ، ولعلني ما كنت لأذهب اللا قا لولا أن الصدفة كشفت لي عن الكنز الذي كيمن مخبوءا في هذه البقعة المنعزلة ذلك أن بعض الشباب هنا اقترحوا اقامة حفل راقص في الريف ، وقبلت الاشتراك فيه واخترت

لصحبتي في تلك الأمسية الى فتاة من ابناء جيرتي المباشرة فيها ملاحة وظرف ، ولكنها عادية على كل حال ، واستقر الراي على أن أستأجر عربة وامسر على شارلوت مع شريكتي وخالتها ، لأوصلهن إلى الحفل الراقص و قالت لي مرافقتي -- ونحن في الطريق وسط البستان الى كوخ الصيد - انني سأتعرف على سيدة شابة فاتنة للغاية وارد نفت خالتها :خذ حذرك حتى لا يفتن بها فؤادك فسالتها ولم هذا التحذير فقالت لانها مخطوبة بالفعل لرجل فاضل جدا ، سافر لتسوية احواله المالية بعد وفاة والده الذي ترك له ميراثا ضخما جدا ولم يشر هذا النبأ شيئا ذا بال في نفسي وعندما وصلنا الى البوابة كانت الشمس قد مالت للمغيب وراء قمم الجبال ، والجو ثقيل ، فتخوفت السيدتان من وشك هبوب العاصفة ، لأن كلا من السحاب الاسود كانت تتجمع فوق الأفق ، فحاولت صرف القلق عنهما وادعيت اني من خبراء الأحوال الجوية، مع اني كنت لا اخلو شخصيا من التوجس خشية أن تفس د العاصفة علينا متعتنا وترجلت من العربة واقبلت خادمة عند الباب ورجتنا أن ننتظر سيدتها برهة ، فاجتزت الفناء الى بيت حسن البناء ، وصعدت الدرج الأمامي و فتحت الباب فرايت قبالتي افتن منظر رأيته طول حياتي ، فثمة ستة أطفال تتراوح أعمارهم بين احدى عشرة سنة وسنتين ، يتجاورن في البهو من حول سيدة متوسطة الطول ، ذات قامة بديعة ، ترتدي او با ابيض بسيطا مزينا بشرائط وردية اللون وكانت تحمل في يدها رغيفا من دقيق الجودار تقتطع منه للصفار من حولها ، وفق أعمارهم وشهيتهم وكانت تقوم بهذه المهمة بأسلوب رشيق يفيض اعزازا ، وكل واحد من المفار ينتظر دوره بيدين ممدودتين ، وأصواتهم تصخبا من حولها بالشكر والابتهاج وكان بعضهم يبتعدون سراعا بعد الحصول على نصيبهم لينعموا بوجبة المساء ، في حين ذهب آخرون - وهم أرق حاشية - الى الفناء لرؤية الغرباء ومشاهدة العربة التي ستستقلها عزيز تهم شارلوت التي قالت :

-ارجو ان تغفر لي اني جشمتك مشقة الحضور الي ، وانسي استبقيت السيدتين في انتظار قدومي ، فان مشاغل اللبس وبعض الواجبات المنزلية قبل انصرافي قد أنستني عشاء الأطفال ، وهم لا يحبون ان يتناولوه من يد أحد سواي وتفوهت بعبارة مجاملة حيثما اتفق ، ولكن روحي كلها كانت مستغرقة في منظرها ، وصوتها وطريقة كلامها وحركتها ، ولم اكد استرجع رباطة جاشي حتى اندفعت تجري الى حجرتها لاحضار قفازها ومروحتها ، وأخذ الصفار يرمقونني بنظرات مستفسرة عن بعد ، فاقتربت من اصغرهم ، وهو مخلوق صفير لذيذ جدا ، فتراجع الى الوراء ، وقالت شارلوت التي عادت في هذه اللحظة : سه لويس صافح ابن عمك

قصدع الصغير بالأمر طواعية ، ولم أتمالك نفسي أن اقبله قبلة مدوية ، برغم قذارة وجهه و قلت لشارلوت وأنا آخذ بيدها لتهبط السلم - : يا بنت العم أتراني حقا جدير بسعادة الانتماء الى قرابتك ؟ فقالت باسمة - ان لي عددا كبيرا من ابناء المم ، بحيث يحزنني الا تكون في عدادهم وعندما ودعت اخوتها طلبت من اختها العالية لها في الممر - واسمها در صو فيه ، وسنها حوالي احدى عشرة سنة - أن ترعى الأطفال ، وان تبلغ تحيتها لوالدها عندما يعود من نزهته على صهوة جوادد وأو نسا الصفار أن يطيعوا شقيقتهم صو في طاعتهم لتسخمها ، ووعدها بعضهم بهذا ، بيد أن فتاة شقراء الشعر في نحو السادسة من عمرها بدا عليها عدم الاقتناع و قالت :

-ولكن صوفي ليست انت يا شارلوت ونحن نحبك اكثر وتسلق اكبر غلامين من اخوتها العربية ، فسمحت شارلوت لهما -- بناء على وساطتي - بأن يصحبانا بعض الطريق وسط الغابة ، بعد أن وعدا بالجلوس ساكنين ، والإمساك بالعربة امساكا وثيقا وما كدنا نجلس ، وما كادت السيدات يتبادلن تحيات المجاملة ، وابدت كل منهن التعليقات المألوفة على زي الأخرى وزينتها ، وعلى الأشخاص الذين يتوقعن صحبتهن في تلك الأمسية ، حتى

امرت شارلوت بوقوف العربة وجعلت شقيقيها ينزلان عنها ، فأصرا على تقبيل يديها مرة أخرى ولثم اكبرهما يد اخته بكل رقة فتى في الخامسة عشرة ، أما الآخر فلثمها بمزيد من الخفة وبلا عناية ، وطلبت شارلوت اليهما مرة أخرى أن يبلغا اخوتها الصغار تحيتها ، ثم أنطلقت بنا العربة وسألت الخالة شارلوت هل فرغت من الكتاب الذي ارسلته اليها اخيرا فقالت شارلوت - : كلا فأنا لم أحببه ، وفي وسعك أن تستردیه وكذلك الكتاب الذي قبله لم يكن افضل منه كثيرا وادهشني - عندما سألت عن عنوان الكتاب ان اعرف انه كتاب والحق انني وجدت نفاذ بصيرة وقوة شخصية في كل ما تفوهت به ، وكل تعبير صدر منها وكأنه يشع نورا على ملامحها ويضفي عليها سحرا جديدا وشعاعا جديدا من العبقرية التي كانت تتكشف شيئا فشيئا كلما تبينت انني ازداد لها فهما واردفت شارلوت تقول : عندما كنت أصفر سنا لم اكن احب شيئا قدر حبي للروايات العاطفية ، فلم يكن شيء يعدل سروري اذا ما تسنى لي في احد فى المطلات أن استكن بهدوء في ركن من الاركان ، وانغمس بكل روحي و قلبي في افراح البطلة الوهمية وأحزانها ولست أنكر أن ذلك لم يزل يفتنني الى الان الى حد ما ولكنني قلما اقرا الان ، ولذا أوثر كتبا توافق ذوقي تمام الموافقة وانا احب حاليا أولئك المؤلفين الذين تصف مشاعرهم من اكثر ما تصف - حالا مثل حالي ووضعا مثل وضعي في الحياة كما احب اكثر من سواهم - اولئك الاصدقاء من حولي الذين تثير حكاياتهم اهتمامي ، بما فيها من أوجه الشبه مع حياتي الصميمة المألوفة ، وهي حياة ان لم تكن الفردوس بحذافيره ، فهي على الجملة مصدر سعادة لا توصف وحاولت أن أخص الانفعال الذي أثارته لدي هذه الكلمات ، ولكن ذهبت جهودي هباء ، لأنها عندما عبرت بصدق شديد عن رايها ف ي» قس واكفيلد «وغير هذه القصة من الأعمال التي اغفل هنا ذكر اسمائها، لم أقدر على تمالك نفسي ، واطلقت للساني العنان فقلت لها

رايى بكل صراحة ، ولم أتذكر وجود السيدتين الاخرتين الا عندما وجهت شارلوت اليهما الخطاب ، فرايتهما جالستين وقد عقد ت الدهشة لسانيهما ، ورمتني الخالة عدة مرات بنظرات مزاح لم ابال بها اطلاقا وتحدثنا عن مباهج الرقص ، فقالت شارلوت : به لئن كان حب الرقص خطأ ، فأنا على استعداد للاعتراف بأني اعلي متعته على سائر المتع ، فاذا ما أقلقني امر ما توجهت الى البيانو وعزفت مقطوعة مما كنت قد رقصت على أنغامه قبل ذلك ، فينصرف عني ما اكابده فورا وتستطيع انت الذي تعرفني - أن تتخيل باي اصرار حدقت في عينيها السوداوين الثريتي السواد وهي تدلي بهذه الملاحظات ، وكيف حامت روحي حول شفتيها الدافئتين ، وخديها الناضرين المتوهجين ، وكيف همت وعزفت في المعاني البديعة التي عبرت عنها كلماتها وقد بلغ من حالي هذا انني لم اكد اسمع الفاظها الفعلية وقصارى القول انني ترجلت من العربة اشبه بشخص في غيبوبة حلم ، وكنت غائبا عن العالم الغامض من حولي حتي اوشكت الا اسمع الموسيقى المنبعثة من قاعة الرقص المضيئة وقد يلفانا السيدان أندران ونن ولن اجسم نفسي ذكر الاسماء وهما رفيقا الخالة وشارلوت عند باب العربة ، وأخذ كل منهما شريكته ، وتبعتهما أنا مع شريكتي وبدانا برقصة المنيوين البطيئة الرزينة و قدت فيها سيدة في اثر اخرى وكانت اشدهن سماجة هن اللواتي يأبين بالذات أن يحملن انفسهن على ترك مشاركتي وبدات شارلوت مع شريكها رقصة ريفية انجليزية ، ولك أن تتصور مبلغ حبوري عندما حان لهما أن برقصوا معنا وليتك ترى شارلوت وهي ترقص ، فهي ترقص بكل قلبها وروحها : فقامها كلها تناغم ورشاقة واناقة ، وكأنها لم تعد تقي شيئا اخر ، ولا تخامرها في غير الرقص فكرة أو خلجة ، ولا شك عندي في ان ك ل احساس لدبها بما عدا الرقص يتلاشى في تلك اللحظة وكانت مرتبطة بأخر في الرقصة الريفية التالية ، لكنها وعدتنى بالرقصة الثالثة ، واكدت لي

بكل صراحتها المحببة انها مفرمة جدا برقصة الفالس ، وقالت - : لقد جرت العادة هنا أن يرقص الفالس شريكا الرقصة السابقة عليها ولكن شريكي لا يتقن الفالسي ، ولسوف يبهجه ان اجنبه ه ذه المشقة وشريكتك غير مصرح لها بالفالس ، وهي ايضا لا تستطيعه ، اما انت فقد لاحظت اثناء الرقصة الريفية انك تحسن الفالس فاذا اردت أن تراقصني الفالس ارجوك ان تقترح ذلك على شريكي ، وسأقترح انا مثل ذلك على شريكتك ووافقتها على ذلك ، وهكذا رتبت الامور بحيث يراقص شريكها شريكتي و شرعنا في انفالس و في البداية استمتعنا بحركات الذراعين المعتادة الرشيقة ، ويا لله : ما أحلى رشاقتها ، وما ايسر حركتها ولما بدا الفالس وراح الراقصون يدور كل منهما حول الاخر في المتاهة الجالبة للدوار ، ساد شيء من الاضطراب ، لأن بعض الراقصين لم يكونوا على مستوى الكفاءة المطلوبة وظللنا ثابتين في مكاننا ، منى حسبن بذلك للآخرين أن ينهكوا قواهم ، وما أن انسحب الراقصون بالفعل ، حتى اندمجنا نحن الاثنان في الرقص ، وصمدنا حتى النهاية ، نحن وراقصان آخران ، هما اندران وشريكته ، ولم ار قص في حياتي كلها بمثل الخفة التي رقصت بها تلك المرة، حتى لقد خلت أنني لست من ابناء الفناء ، وأنا أضم أحب مخلوقات الله بين ذراعي واليرِ بها في سرعة الرياح ، الى ان غابت جميع الأشياء عن نانلري ولقد آليت في تلك اللحظة على نفسي انه ما من فتاة احبها ، أو اكن لها ادنى ارتباط و تعلق ، ينبغي ان ادعها ترقص الفالس مع احد سواي ، ولو ركبت في سبيل ذلك اصعب الاهوال و في يقيني الك تفهم شعوري هذا ودرنا في القاعة عدة دورات لنسترد انفاسنا نم جلست شارلوت وانتعشت بما تناولته من برتقال كنت قد جنبته معي ، ومع كل فص كانت تعرضه - تأدبا - على جيرانها ، كنت اشعر وكأن خنجرا يغوص في قلبي

وكنا ثاني راقصين في الرقصة الريفية الثالثة ، وفيما نحن منجهان الى الحلبة (والله أعلم بأي نشوة كنت انظر الي ذراعيها وعينيها اللامعتين بأحلى مشاعر المتعة الصادقة الصافية مررنا بسيدة كنت قد لاحظت ملاحتها ، مع انها لم تعد شابة ونظرت هذه السيدة الى شارلوت باسمة ، ورفعت في الهواء سبابتها وحركتها في الماءة تحذير : وكررت مثنى بلهجة ذات مغزى اسم البرت، نقلت لشارلوت - : ومن البرت ، اذا لم يكن في سؤالي هذا تطفل ؟ وهمت بالجواب ، عندما وجب علينا ان نفترق كي تعبر عن شكل معين من اشكال الرقصة ولما مر كل منا مرة اخرى بازاء الاخر لاحظت انها تبدو شاردة الذهن الى حد ما، وقالت وهي تمد لي يدها لمصاحبة خطواتي :

-ولماذا اخفي عنك هذا الأمر ؟ البرت رجل فاضل ، وانا مخطوبة له ولم يكن شيء من هذا النبأ مجهولا لدي الان السيدتين كانتا قد اخبرتاني به ونحن في الطريق الى بيتها، ومع هذا بدا النب وكأنه جديد تماما ، فأنا لم افكر فيه من قبل على انه متعلق بتلك التي أمسيت في فترة وجيزة جدا من الزمان - شديد التقدير والاعزاز لها واستولى على الاضطراب ، وخرجت على نظام الرقصة وترتيبها ، فنجم عن ذلك اضطراب عام فيها ، بحيث اقتضى الأمر كل حضور ذهن شارلوت كي تصحح لي سياق خطواتي ، بجدبي ودفعي الى مكاني الصحيح ولم تكن الرقصة قد بلفت نهايتها بعد عندما اشتد عنفوان البرق الذي كان منذ برهة قد بدا يلوح عند خط الافق - وكنت قد عزوته عن يقين الى اشتداد الحرارة تم سمع الرعد، فعلا صوته فوق صوت الموسيقى ومن شأن الفزع او الكدر عندما يفاجئنا وسط استمتاعنا بمسراتنا ان يكون اشد وقعا على نفوسنا في اي وقت اخر ، وتكون حساسيتنا به اشد ، ولعل ذلك راجع الى ان حواسنا عندئذ اكثر تفتحا للإنطباعات والمؤترات ، مما يجعل الصدمة اقوى وأشد واني الأعزو الى ذلك م ا اصاب السيدات من ذعر وما صدر عنهن من صرخات ، فاذا با

حداهن تجلس في أحد الأركان ، وقد جعلت ظهرها الى النافذة، ووضعت اصبعيها في أذنيها ، وركعت سيدة أخرى أمامها ، واخفت راسها في حجرها ، وألقت سيدةعتالثة بنفسها فيما بينهما، وراحت تجنن اختها وهي تذرف سيلا من الدموع، وأصرت بعضهن على العودة المسى بودن وندن غيرهن غير واعيات لا فعالهن ، واحتجن إلى جهد شديد من جميع منات آذهانهن كي يردشن ما تجاسر به شركاؤهن الذين حاولوا تفسير تنهداتهن الجياشة وصرفها الي اشخاصهم منتهزين فرصة الاضطراب الذي عراهن بسبب الأحوال السماوية أما الرجال فقد نزل نمر منهم ليدخنوا سيجارا في هدوء ، في حين استجاب نفر اخر بكل سرور الى اقتراح المضيفة بالانسحاب الى حجرة اخرى ذات مشاريع خشبية وستائر ولم نكن ندخلها حتى راحت شارلوت بسحب الكراسي وترتبها على شكل دائرة ، ولما أجاب الحاضرون دعوتها إياهم إلى الجلوس اقترحت عليهم لمة تصلح للجلوس على هذه الهيئة ولاحظت كيف استعد نفر من هذه الجماعة متوقعين عقابا لطيفا ، عندما قالت شارلوت : فلنلعب لعبة العدد والأن انتبهوا جيدا ، فسوف أدور حول الحلقة من اليمين الى اليسار ، وعلى كل شخص ان يمني في العدد ، الواحد منكم تلو الاخر ، على الترتيب الصحيح ، ولا بد أن يتم هذا بسرعة ، ومن يتوقف أو يخطىء ، سيلقى ضربة على خده ، وهكذا تمضي اللعبة الى ان يصل العدد الى الالف وكان مبهجا أن يرى المرء الحبور والمرح يسودان الجميع ، وقد انطلقت شارلوت تدور حول الحلقة بذراع مرفوعة وقال الأول واحد والتالي له اننان والثالث ثلاثة ، و هكذا ، الى ان اسرعت شارلوت خطاها ،واخطا احدهم ، فهبطت كف شارلوت على صدغه بلطف ، ووسط الضحك الذي أعقب ذلك هبطت صفعة أخرى ، وهكذا ، بمزيد من السرعة وظفرت انا شخصيا بصفعتين ، وخيل الى انهما كانتا اشد من المعتاد ، وانتابني لذلك سرور عظيم ، وتكفل الضحك العام

وما صحبه من هرجلة بانهاء اللعبة قبل أن نصل في العدد الى الالف بكثير وعندئذ انفرط عقد الجماعة الى مجموعات صغيرة ، وكانت العاصفة قد توقفت ، وقمت فتبعت شارلوت الى قاعة الرقص وفي الطريق الى هناك قالت : ما لقد بددت اللعبة ما أثارته العاصفة من الخوف ولم اجد ما اقوله ، فاستطردت - : انا شخصيا كنت فزعا كسائرهم ، ولكن باصطناع الشجاعة لكي ارفع روح الاخرين المعنوية بسبب مخاوفي وتوجهنا الى النافذة ، وكان الرعد لم يزل هادرا عن بعد ، والمطر الخفيف يهطل ويملا الهواء من حولنا بعبير الريف ومالت شارلوت الى الإمام معتمدة على ذراعها ، وجالت بعينيها تذرع المنظر الممتد أمامنا ، ثم رفعتهما صوب السماء ، ولم تلبث أن وجهتهما نحوي ، فاذا بهما مخضلتين بالدموع، ووضعت يدها فوق يدي و قالت : - كلو بستوك ؟ وعلى الفور تذكرت القصيدة البديعة التي مرت بخاطرها ، وشعرت بانى انوء تحت وقر احساساتي ، فقد كان ذلك أقوى من طاقة احتمالى ، فانحنيت فوق يدها ، وقبلتها بين فيض مدرار من الدمع النشوان ، ثم رفعت نظري الى عينيها يا لكلو بستوك المقدس ؟ لماذا لم تر تمجيدك في هاتين العينين ؟ واسمك الطاهر، الذي طالما اصابه التدنيس ، كم اتمنى لو لم اسمعها تعيد ترديده شفتان لم اعد اتذكر اين توقفت في سردي كل اللي اعرفه ان الساعة كانت الثانية صباحا حينما أويت إلى فراشي ولو كنت معي لكنت تحدثت اليك بدلا من الكتابة ، وكنت حريا - اغلب الظن - أن استبقيك يقظانا حتى مطلع النهار وأعتقد أنني لم أقصص عليك بعد ما جرى عندما ركبنا عائدين أدراجنا من المرقص وليس عندي لهذا الأن متسع من الوقت لقد كان بزوغ الشمس رائعا ، وقد انتعش الريف كله ، والمطر يقطر نقطة نقطة من اشجار الغابة وكان رفاقنا في المركبة نياما ، وسألتني شارلوت آفلا احب انا ايضا ان انام ، ورجتني الا أتجشم الكلفة من اجلها ، فنظرت اليها نظرة ثابتة وأجبتها : با ما دمت أرى هاتين العينين

مفتوحتين ، فلا سبيل للكرى الى عيني وهكذا ظللنا - كلانا - يقظانين الى ان بلغنا باب دارها الذي فتتشته الخادمة بهدوء وخفوت ، واكدت لها - ردا على استفساراتها ان والدها والأطفال جميعا بخير ، وما زالوا نياما وغادرتها ، بعد أن استأذنتها في ان ازورها في غضون النهار ، فأذنت ، وانصرفت الى دارى ومنذ هذه اللحظة وللشمس والقمر والنجوم تمضي في مداراتها ، أما أنا فلم اعد أميز الليل من النهار ، لان العالم كله صار في نظري علما ايامى حافلة بالسعادة ، كتلك التي أعدها الله لمختاريه ، واياك ان مديري بعد ذاك : فلن اقول اني لم أذق طعم الفرح ، كأنني ما تكون افراح الحياة وانت تعرف اين مو قع فالهايم وأنا الآن متنفر هاله تماما ففي هذه البقعة اجد نفسي على مسافة نصف مرحلة من شارلوت وهناك اجد المتعة واذوق جميع المباهج التي يمكن ان تكون من نصيب البشر وما كنت اتخيل وانا اختار فالهايم لرحلاتى سائرا على قدمى ان السماء بأسرها تقع على مقربة منها وكم من مرة، وأنا أتجول مبتعدا عن جانب التل ، او عن المراعي عبر النهر ، وقعت عيني على كوخ الصيد هذا، الذي يضم تحت سقفه كل أفراح قلبي وكم من مرة يا عزيزي فلهلم تفكرت في تلهف البشر على التجوال واو قوع على اكتشافات جديدة ، وفي الدافع الخفي الذ ي يحدوهم بعد ذلك للعودة إلى دائرتهم الضيقة ، وفقا لقوانين العادة ، غير ممنين انفسهم اكثر من هذا بما يدور من حولهم وانه لمن الغريب أنني عندما قدمت الى هنا اول مره ونظرت سيرالوادي الجميل من جانب التل ، شعرت بالافتتان بكل ذلك المنظر المحدق بي كانت الغابة الصغيرة قبالتي - وما كان اجمل ان يجلس المرء تحت ظلها وما كان ابهي المنظر من هذا الموقع الصخري ثم هناك سلسلة التلال ، وتلك الوديان البديعة الجاثمة عند اقدامها ليتني اجوبها انسى نفسي بينها وذهبت اليها ، وعدت منها من غير ان اجد فيها ما ذهبت انشده فالأبعاد والمسافات با صديقي مثل المستقبل ، فالامتداد

الغامض يترامى امام ارواحنا ، مدارك عقولنا لا تقل غموضا عن مدارك أبصارنا ، ونحن نتوق بكل صدق أن نسلم لها كياننا كله ، كي يمتلىء بالغبطة الكاملة التامة التي يفيضها علينا شعور واحد باهر ، ولكن وا أسفاه ؟ عندما تبلغ مقصودنا ويتحول ما كان بعيدا هناك، إلى ما هو حاضر هنا ، اذا بكل شيء وقد تغير ، واذا بنا على ما كنا فيه من فاقة وصيق ، واذا ارواحنا لهفانة متعطشة لم تزل تهفو الى السعادة التي لا تنال وهكذا يحن الرحالة الذي لا يقر له قرار الى ثري مسقط رأسه ، ويجد في كوخه ، وبين ذراعي زوجته ، وفي حنان اطفاله ، وفي الكد ح الغروري لاعالتهم تلك السعادة التي ظل ينشدها عبثا في طول الدنيا وعرضها عندما اذهب في الصباح ، مع طلوع الشمس ، الى نالهايم ، وبيدي اجمع من الحديقة البازلاء التي ستكون عشائي ، وعندما أجلس انشرها، وعندما اقرا هوميروس فيما بين ذلك كله ، ثم اختار من المطبخ مقلاة ، وأحضر زبدى ، واضع على النار المقلاة وفيها مطلوبي للطعام واغطيها ، ثم اجلس ، واقلبها كلما احتاجت الى التقليب - حينئذ ارى بعين خيالى خاطبي بنيلوبي الأمجاد ، وهم يذبحون ويتبنون ويعدون ثيرانهم وخنازيرهم بأيديهم ، وما من شيء يملؤني بسعادة اصدق وانتي من تأمل سمات هذه الحياة الغابرة التي استطيع شكرا للسماء ان احاكيها بلا تكلف وما أسعدني أن يكون قلبي قادرا على الإحساس بعين تلك اللذة البريئة البسيطة التي يحسها الفلاح الذي تحفل مائدته بأغذية من نتاج زراعته وتربيته فلا يستمتع بطعامه فحسب ، بل يتذكر بتلذذ في الوقت نفسه ايضا الأمسيات السعيدة التي قضاها في سقيه واستنباته ، والايام التي راقب فيها بحبور نماءه شيئا فشيئا امس الاول حضر الطبيب من البلدة ليزور القاضي ، فوجدني علسى الارض الاعب اطفال شارلوت ، وكان بعضهم قد تكاثروا علي ، والأخرون مرحون معي ، وأنا أمسكهم ادغدغهم ، فتصدر عنهم جلبة عالية وهذا الطبيب شخص من المتمسكين بالرسميات ،

ولذا فهو مشغول دائما بتسوية طيات ثيابه واهدابها وهو يتحدث اليك ، ولذا خال مسلكي هذا ميلا الى المكانة والكرامة الواجبة للرجل العاقل الرزين وقد قرات هذا على سحننه ، ولكني لم أتجشم لهذا السبب الاقلاع عما انه بسبيله ، بل سمحت له أن يواصل احاديثه بينما أنا مشغول باقامة بيوت الأطفال التي بينونها من الورق المقوى كلما هدموها ، وقد انطلق هذا الطبيب في أرجاء البلدة بعد ذلك مرددا أن اطفال القاضي ، كانوا مدللين بما فيه الكفاية قبل ذلك ، اما الان فها هو فيرتر يفسدهم تمام الا فساد اجل يا عزيزي فلهلم ، ما من شيء على وجه البسيطة يؤثر في فؤادي مثلما يؤثر فيه الأطفال وعندما انظر الى افاعيلهم ، وارى في هذه المخلوقات الصفيرة بذور جميع الفضائل والمزايا التي سيجدونها ذات يوم شيئا لا غنى عنه ، وعندما ألمح في العنيد منهم كل الجزم الذي يتحلى به في المستقبل الطبع النبيل ، وعندما المح في النزق منهم الخفة والمرح اللذين يساعدان فيما بعد على تحمل متاعب الحياة ، وعندما اتمين صفاء طبيعتهم البسيطة النقية ، عندئذ أتذكر القول الذهبي الذي ارسله معلم البشرية العظيم :ما لم تصيروا مثل واحد من هؤلاء ولكننا با سديقى نعامل هؤلاء الأطفال - وهم اندادنا الذين ينبغي أن نعدهم قدوة لنا نعاملهم كما لو كانوا رعايا ، فلا نسمح لهم بارادة خاصة بهم ، أو ليست لنا نحن ارادة ؟ فمن اين استمددنا حقنا الاستبدادي ؟ الا اننا أسن منهم وأكبر وأكثر خبرة ؟ الله اكبر انك ترى الكل من علياء سمائك اطفالا كبارا وأطفالا صغارا ، ولا زيادة المسيح قد بين منذ زمن بعيد أي الفريقين مصدر المسرة الأعظم ، ولكن الناس يؤمنون به ولا يصغون له وهذه ايضا قصة قديمة ، ولذا فهم يربون اطفالهم على صورتهم وداعا يا فلهلم ، فلست أريد أن أزعج نفسي بهذا الموضوع اكثر من هذا اول يوليو في وسعي أن أعرف من تجربة قلبي مدى العزاء الذي تستطيع شارلوت أن تمنحه لمريض ، فقلبي يعاني من بعادها او غيبتها اكثر

مما يعانيه كثير من المساكين الذين يلزمهم المر ض الفراش ، فقد رحلت شارلوت لقضاء بضعة أيام في البلدة مع امراة فاضلة جدا نفض الأطباء ايديهم منها ، فتمنته هذه السيدة أن تكون شارلوت بجوارها في لحظاتها الاخيرة وقد صحبتها في الاسبوع الماضي في زيارة لقس قرية س وهي قرية صغيرة في الجبل ، على مسافة نحو مرحلة من هنا وقد وصلنا الى هناك في الساعة الرابعة ، وقد صحبت شارلوت اختها الصغيرة ولما دخلنا فناء بيت القس ، وجدنا الرج ل السن الطيب جالسا على مقعد خشبي أمام الباب ، في ظل شجرتي لوز كبيرتين وما ان ابصر شارلوت قادمة حتى بدا وكأنما دبت فيه حياة جديدة ، فنهض ، ونسي عصاه ، وغامر بالسير اليها ، فجرت نحوه، وحملته على الجلوس كما كان ، ثم جلست بجواره ، وابلغته رسائل من ابيها ، ثم لمحت اصغر اطفاله - وهو مخلوق صغير قذر قبيح الشكل هو قره عين شيخوخته فقبلته وأتمنى لو تسني لك أن ترقب اعتناءها بهذا الشيخ ، وكيف كانت ترفع صوتها مراعاة لصممه ، وكيف جعلتها تحدثه عن الشباب الأصحاء الذين غالهم الموت نجاة ، وعلى غير توقع ، وكيف أطرت مزايا كارلسباد ، وايدت اعتزامه قضاء الصيف القادم هناك ، وكيف اكدت له انه يبدو انضل واقوى مما راته في المرة السابقة وكنت انا في تلك الأثناء أوجه عنايتي الى زوجته الطيبة وبدا الشيخ في حالة معنويسة طيبة ، ولما لم اتمالك نفسي من الاعجاب بجمال شجرتي اللوز بظلهما اللطيف المستحب فوق رءوسنا ، شرع ما في شيء من الصعوبة - يحدثنا بتاريخهما ، فقال : م أما كبراهما فلا ندري من غرسها ، فالبعض يعزون ذلك إلى هذا القسم ، والبعض الاخر يعزونها الى سواه ، اما صغرافما ، التي نراها من خلفنا ، فعمرها بالضبط مثل عمر زوجتي أي انها ستبلغ الخمسين في اكتوبر القادم ، لأن والدها غرسها ذات صباح ، وفي المساء جاءت هي الى الدنيا فقد كان ابوها سلفي في هذا المنصب ، ولا يسعني أن أخبرك كم

كان شغوفا بهذه الشجرة ، ولها عندي مثل هذا الأعزاز ايضا ففي ظل هذه الشجرة بعينها ، فوق كتلة من الخشب ، كانت زوجتي جالسة تحيك الصوفي عندما دخلت هذا الفناء وانا طالب فقير لاول مرة، منذ سبع وعشرين سنة بالضبط استفسرت شارلوت عن ابنته ، فقال انها ذهبت مع الهر شميدت الى المراعي - وانها الان مع حاصدي العشب ، ثم استأنف الشيخ حكايته ، فأحبرنا كيف وجد هوى في قلب سلفه ، وكذلك ايضا بالنسبة لابنته ، وهكذا صار اولا خورية الكاهن المساعد ثم خلفه فيما بعد ولم يكد يتم حكايته هذه حتى عادت ابنته عن طريق الحديقة : و في صحبتها الهر شميدت المذكور آنفا ، فرحبت بشارلوت ترحيبا حارا واعترف انني اخذت شخصيا الى حد كبير بمنظرها ، فهي سمراء يسدل شكلها على الحيوية والمزاج المرح ، من ذلك الطراز الكفيل تماما بتسلية المرء فترة وجيزة وهو في الريف وعاشقها الان الهر شميدت هكذا بدا وخسوح شخص مهذب ، متحفظ، لم يشأ أن يشترك في محادثتنا برغم محاولات شارلوت لاستدراجه الى الاشتراك معنا و قد ضايقني انها عند ملاحظة سحنته أن هذا الصمت لم يكن مبعثه الافتقار الى الموهبة بل الزهو واعتلال المزاج وقد غدا ذلك واضحا أشد الوضوح عندما شرعنا فى نزهة على الأقدام ، وقد صحبت فيها فردريكا شارلوت ، وكنت احادث في الطريق فردريكا ، فاذا وجه هذا الرجل الفاضل - الذي كان بطبيعته متجهما وقد اربد وعلاه الغضب الشديد ، حتى أن شارلوت نطرت للمس ذراعي كي تذكرني بأني أفرطت في التحدث الى فردريكا وما من شيء يعذبني مثلما يعذبني ان ارى البشر يعذب بعضهم بعضا ، ولاسيما عندما اجدهم في زهرة أعمارهم ، أو أن بهجتهم وسرورهم يضيعون ايام اشراقهم المعدودات في منازعات ومشا حنات ، ولا يفطنون الى خطئهم الا بعد فوات اوان كل اصلاح لحالهم وكم ثقلت هذه الفكرة على خاطري وفي المساء عندما عدنا الى منزل القس وجلسنا حول المائدة

وامامنا الخبز واللبن ، دار الحديث حول افراح الحياة واحزانها ، فلم استطع مقاومة الانحاء بالتنديد الشديد على سرعة الغضب وحدة المزاج، فقلت :
-اننا ميالون للشكوى والتذمر ان ايام سعادتنا قليلة وايام تعاستنا كثيرة، فلو أن قلوبنا كانت متأهبة باستمرار لتلقي النعم التي تنعطف بها السماء علينا لتسني لنا أن نكتسب القوة الكفيلة بتحمل الشرور والبلايا عندما يأتي او انها فقالت زوجة القس عندئذ - : ولكن ليس في استطاعتنا دائما أن نأمر مزاجنا او طبنا فينقاد لنا فما اكثر ما يتوقف ذلك على تكويننا البدني ، فعندما يعاني الجسد، لا بد أن تضطرب النفس ويعتل الخاطر أجبتها - : اجل اني اعترف بوجاهة هذا القول ، ولكن علينا أن نمحص هذا الميل الى التذمر وحدة الطبع في ضوء معرفتنا بالأمراض ، ونتساءل اليس ثمة من دواء لهذا فقالت شارلوت - : انه ليسرني ان اسمع بعلاج من هذا القبيل ، فأنا على الاقل اعتقد ان الكثير يتوقف علينا شخصيا ، فهكذا الحال فيما يتعلق بي فعندما بحزنني يضايقني شيء ما، ويعكر مزاجي ، اسرع إلى الحديقة ، وأدندن بنغمتين من أهازيج الرقص الريفي ، فيستقيم حال مزاجي على الفور فقلت - : وهذا ما عنيته أنا نحدة الطبع ، مثلها مثل التراخي او الكسل ، طبيعة فينا ، ولكن متى واتتنا الشجاعة مرة واحدة على مواجهة انفسنا وحملها على غير هذه الخطة ، وجدنا الأمور تستقيم لنا ، وشعرنا بالسرور لما استطعنا بعد أن كنا محجمين امامه وكانت فردريكا تصغي لهذا الحديث بانتباه شديد ، اما الشاب فاعترض بأننا لسنا سادة انفسنا ، ولا سلطان لنا على طباعنا ، و من باب اولي لا سلطان لنا على مشاعرنا فقلت له : - ان الامر هنا متعلق بشعور غير مستحب ينبغي على كل منا أن يتخلص منه ، ثم أنه ما من أحد يدرك مدى سلطانه على نفسه ومشاعره الا بالمحاولة والمرضى يسرهم أن يستشيروا الأطباء ، ويخضعون التعليماتهم الصارمة غاية الصرامة ، ويتعاطون ادويتهم المفثية ، ك سى يستردوا عافيتهم

ولاحظت ان الشيخ الطيب كان يفضي براسه ويجهد نفسه في الاصغاء الكلامنا ، ولذا رفعت صوتي ، ووجهت كلامي مباشرة اليه - : اننا نندد بالكثير جدا من الجرائم في عظاتنا ولكنني لا اذكر موعظة واحدة وجهت ضد حدة الطبع او اعتلال المزاج فقال القسيس الشيخ - : قد يكون هذا سائغا جدا لكهنة المدن عندكم ، أما أهل الريف فلا يعانون مطلقا من حدة المزاج ، وان كان ذلك قد يفيد احيانا كما في حالة زوجتي ، وفي حالة القاضي ، مثلا وضحكنا جميعا ، بما فينا القسيس ، من كل قلوبنا ، الى ان اسلمه ذلك الى نوبة سعال ، قطعت سياق حديثنا برهة وعاد الهر شميدت الموضوع قائلا - : انك تسمي حدة الطبع جريمة ، ولكني اعتقد انك ها هنا تستخدم لفظا مفرطا في الشدة فأجبته - : اطلاقا فهي شيء أشد ما يكون ضررا لذواتنا ولجيراننا ، اليس حسبنا ان نفتقد الى القوة التي تجعل كلامنا يسعد الاخر ، فهل لا بد لنا ابنا أن يحرم كل منا صاحبه من المسيرة التي نستطيع جميعا أن نستحدثها نفسنا ؟ إرني الرجل الغادر على اخفاء حدة طبعة ، ويتحمل العبء كله منفردا من غير أن يكدر صفو المحبطين به كلا بل حدة الطبع تنشأ من شعور داخلى با فتقارنا الى الفضل او الزية ، وعن سخط يقترن دائما بالحسد والغيرة التي يولدها الغرور الأحمق ، الذي نرى أناسا سعداء لسنا نحن مصدر سعادتهم ؛ فلا نطيق هذا المشهد فدارت شارلوت نحوي وعلى وجهها ابتسامة ، ولاحظت الانفعال الذي يصطبغ به حديثي ، وحفزتني دمعة في عين فردريكا أن أمضي في كلامي فقلت - : ولى لأولئك الذين يستخدمون سلطانهم على قلب بشري ليدمروا تلك المباهج البسملة التي تنعم بها هذا القلب تنهما طبيعيا فجميع ما يمكن ان يقدم بعد ذلك من الوان اللطف والرعاية لا يمكن أن يعو في هذا القلب عن تلك السعادة التي دمرها ذلك الطغيان الفاسي و كان قلبي مفعما وانا اتدفق بهذا الكلام ، فقد تواردت على خاطري ذكرى امور كثيرة جرت فيما مضى ،

فملأت عن بالدموع ، وهتفت - : ينبغي ان نكرر لانفسنا كل يوم اننا نبغي الا نتدخل في شئون اصدقائنا ، اللهم الا لكي نتركهم خالين الى مباهجهم الخاصة ، ما لم نكن قادرين على مشاركتهم اياها أما إذا تناو شت افئدتهم انواع من الأحزان والعذاب ، أفلا ينبغي علينا أن نبسط اليهم يد العون ولو بأيسر العزاء ؟ وعندما يستولي المرض الاخير القاتل على المخلوقة التي عليك القدر ان تعد لها احدها قبل الأوان وتراها راقدة أمام عينيك شاحبة منهوكة القوى ، وقد اتجهت عيناها الكابيتان الى السماء ورطوبة المنون تزحف على جبينها عندئذ تقف الى جوار سريرها كالمجرم المدان ، ويتملكك الاحساس المرير بأن كل ما في يديك من ثروة لا تستطيع ان تستنقذها ، ويعصر هذا الخاطر قلبك ، لأن كل ما أوتيت من طاقة لن يتيح لك ان تمدها بلحظة قوة واحدة في ساعة الرحيل ، ولا بلمحة عزاء واحدة عابرة وهي تودع الدنيا وفي هذه اللحظة انهالت على خاطري ذكري منظر مماثل كنت قسد شهدته ذات مرة ، فدفنت وجهي في منديلي ، واسرعت منطلقا م ن الحجرة ، ولم يردني الى جاشي الا صوت شارلوت التي ذكرتني انه آن وقت العودة وبأي رقة عذلتني ونحن في الطريق الى بيتها لفرط اهتمامي وانفعالي بكل امر يعرض لي وقالت لي ان ذلك خليق أن يلحق بي الضرر ، وانه ينبغي لي أن أخفف على نفسي اجل يا ملاكي سأصنع هذا لاجلك انها لم تزل مع صديقتها التي تحتضر ولم تزل ايضا هي تعينها ذلك المخلوق المشرق الجميل الذي يخفف حضوره الآلام ويفيض بالسعادة فيما حوله اينما توجه وقد خرجت بالامس مع شقيقاتها الصغيرات ، عرفت هذا وخرجت لملاقاتهن ، ومشينا معا ، ثم عدنا الى البلدة بعد نحو ساعة ونصف ووقفنا عند النبع الذي اولمت به، والذي صار الأن أحب الي الف مرة من ذي قبل وقد جلست شارلوت فوق الجدار المنخفض ، وتجمعنا حولها ونظرت حولي وتذكرت الوقت الذي كان قلبي فيه خليا اليس فيه من يشغله ،

وقلت - : ايها النبع العزيز الغالي : منذ ذلك الحين لم اعد احلم بك ، ولم آت لاستمتع بالراحة الندية بقرب جدولك الصافي ، بل كنت أمر بك نسي خطوات غير مبالية ، وقلما اعرتك نظرة ونظرت الى اسفل فأبصرت شقيقة شارلوت الصغيرة جان، قادمة تصعد الدرجات المفضية الينا وفي يدها كوب ماء ، فالتفت الي شارلوت وشعرت بتأثيرها ونفوذها علي وكانت جان في هذه اللحظة قد اقتربت بكوب الماء في يدها ، وارادت اختها ماريان ان تأخذ ه منها فصاحت الطفلة بأعذب تعبير: كلا بل يجب ان تشرب شارلوت اولا وسحرني الأعزاز والبساطة اللذين نطقت بهما هذه الكلمات ، حتى انتي حاولت ان اعبر عن شعوري بالامساك بالطفلة ،وادرت فمها الي ، وتقبيلها بحرارة ، فذعرت وانشأت تبكى وقالت شارلوت : ينبغي الا تصنع هذا وشعرت انا بالارتباك ، وأردفت شارلوت ، وهي تتناول يد الطفلة وتقودها هابطة الدرج مرة أخرى - : تعالى يا جان لا ضير اغتسلي بسرعة بالماء العذب ووقفت انا ارقبها ، ورأيت العزيزة الصغيرة كيف تحك خديها بيديها المبللتين ، اعتقادا منها ان كل الرجس الذي انتقل اليها من لحيتي القبيحة سوف يغسله عنها الماء السحري وكيف أنها أمعنت في ذلك بكل قوتها مع ان شارلوت قالت لها حسبك ، وكأنها تعتقد أن الإفراط في ذلك خير من التفريط ، وعندئذ اؤكد لك - لم أشعر للعماد المقدس باجلال مثل الذي شعرت به عندئذ ، ولما صعدت شارلوت من النبع اوشكت ان أركع أمامها وفي المساء لم استطع ان اغالب نفسي فرويت القصة لشخص كنت احسبه على شيء من الشعور الطبيعي ، لانه من اهل الفهم والفطنة ، ولكن تبين لي مدى خطأي فقد زعم أن شارلوت ارتكبت خطأ كبيرا، وانه ما كان ينبغي لها أن تخدع الأطفال ، وان مثل هذه الأمور تسبب أخطاء وخزعبلات لا حصر لها وعندئذ خطر لي ان هذا الرجل لم يتم عماده الا من اسبوع واحد ، ولهذا لم أستطرد في الحديث معه في هذا

الموضوع، ولكني احتفظت لنفسي ، باعتقادي في صواب قناعتي ، وانه ينبغي لنا أن نتعامل مع الأطفال على نحو ما يتعامل الله معنا واننا اسعد حالا ونحن واقعون تحت تأثير الأوهام البريئة الساذجة يالرجل من طفل : اذ يبتهل ويتضرع من أجل نظرة يتلهف عليها للرجل من طفل حقا فقد ذهبنا الى فالهايم : ذهبت السيدات في عربة ، وأثناء مسيرنا ظننت اني رايت في عيني شارلوت السوداوين ولكن اغفر لي هذا فلا بد لك أن تراهما - هاتين العينين الان اجفاني مثقلة بالنعاس فأذكر ان السيدات عندما ركبن عربتهن مرة أخرى ، كان

الشاب وه سلدستات ، واندران ، وانا ، واقفين قرب الباب و كانت المجموعة المرحة تضحك وتمازج بعضها بعضا مراقبت عينى شارلوت ، وكانتا تتنقلان من الواحد الى الاخر ، ولكنهما لم تقعا علي - علي انا الواقف هناك ساكنا بلا حراك لا يرى شيئا سواها واقراها قلبي سلام الوداع الف مرة ، ولكنها لم تلحظ وجودي قط وانطلقت العربة ، وامتلأت عيناي بالدموع ونظرت في اثرها ، وفجأة رايت قلنسوة شارلوت تنحني خارج النافذة، والتفتت لتنظر خلفها اكان نظرها موجها الي انا ؟ لست ادري يا صديقي وفي هذا الشك اجد عزائي فلعلها التفنت وراءها كي تراني لعلها طابت ليلتك وبا لي من طفل

ليتك ترى كيف أبدو نمرا وأنا وسط جماعة يرد فيها ذكر اسمها ، ولا سيما اذا ما سئلت ببساطة عن رايي فيها يسألونني عن رايي فيها لكم اكره هذا التعبير وأي مخلوق هذا الذي يكنفي باستلطاف شارلوت ولا يذوب قلبه كله وحواسه كلها فيها كل الذوبان ؟ استلطفها ؟ لقد سألني بعض الناس اخيرا عن مدى استلطا في اوسيان

دام م مريضة جدا وانا ابتهل الى الله ان يشفيها، لان شارلوت تقاسمني آلامي وارها احيانا في بينا صديقي ، وقد قالت لي البوم أعجب شيء فالشيخ م س رجل بخيل مقر كثير الانتهاء لما في بد غيره، وقد نكد حياة السيدة المسكينة زوجته ، بيد أنها تحملت متاعبها وبلا باها في صبر ولما أنبأنا الطبيب منذ بضعة أيام أن شفاءها ميئوس ما به ارسلت السيدة الى زوجها وكانت شارلوت حاضرة وخاطبته قائلة :

-عندي ما اعترف لك به ، وهو أمر ربما احدث بعد وفاتي بلبلة

واضطرابا فقد اسست بيت ودبرته حتى الآن بأقصى ما وسعني من التقشف والاقتصاد ولكن يجب عليك أن تغفر لي انني غششتك على مدى ثلاثين عاما : ففي بداية حياتنا الزوجية قررت لي مبلغا صغيرا لاحتياجات المطبخ وما الى ذلك من نفقات البيت ولما نمت مؤسستنا ، واتسعت املاكنا عجزت عن اقناعك بزيادة الاعتماد الأسبوعي بما يتناسب مع ذلك وقصارى القول انك - كما تعلم - ابيت حينما بلغت احتياجاتنا ذروتها الا ان أتكفل بكل شيء في حدود سبعة فلورينات في الاسبوع ، فكنت آخذ النقود منك بدون أن تشعر ، بحيث كنت استعيض نقص الاعتماد من خزانة نقودك ، لأنه ما من أحد يمكن أن يخطر له أن زوجتك تسرق خزانة الدار ، ولكني لم أنفق شيئا هدرا ، وكنت خليقة أن القى الديان يوم الحساب من غير أن ادلي لك بهذا الاعتراف ، لولا انني اريد اللتي ستدير بينك بعد وفاي ان تتحرر من الحرج بالحاحك واصرارك على أن الاعتماد المسموح به لزوجتك السابقة كاف لجميع النفقات وتحدثت مع شارلوت عن مبلغ ما يتردى فيه بعض الرجال من العمى ، الى حد لا يمكن تصوره وكيف يمكن لأي شخص الا يشك في وجود خديعة من نوع ما اذا كان كل ما يسمح به سبعة فلورينات لسد احتياجات تحتاج الى ضعف هذا المبلغ ولكني عرفت شخصيا اناسا كانوا يعتقدون - وبدون دهشة ظاهرة للعيان - ان بيوتهم تنعم بالبركة التي

تشبه معجزات الأنبياء كلا لست مخدوعا ففي عينيها السوداوين قرات اهتماما حقيقيا أصيلا بي وبأحوالي أجل اني لاشعر بهذا ، ولي أن أصدق قلبي الذي ينبئني - ترى هل أجسر على قولها ؟ التجاسر على التفوه بالالفاظ المقدسة ؟ - انها تحبنيانها تحبني لكم ترفع هذه الفكرة من قدري وتسمو بي الي عين نفسي ولما كنت تفهم مشاعري يا صديقي ، ففي وسعي أن أقول لك كم ابجل نفسي منذ احبتني فهل هذا محض افتراض او ظن ؟ أم هو وعي بالحق الصراح ؟ لست أعرف رجلا يمكن ان يحل محلي و يستأصلني من قلب شارلوت ، ومع هذا اشعر عندما تتحدث عن خطيبها بكل هذه الحرارة والأعزاز وكأنني جندي جردوه من ألقابه ورقبه ونياشينه وسيفه

الا كم يخفق قلبي عندما أمس اصبعها عن غير عمد ، او تلتقي قدماي بقدميها تحت المائدة عندئذ أتراجع وكأنما لمست اترنا محمي بيد ان قوة خفية تجبرني على الاقدام من جديد ، وتمسي حواسي نهبا للاضطراب ان قلبها البريء غير الواعي لم يعرف قط أي عذاب ممض تو قمه بي هذه المخالطة اليسيرة ، فيحدث احيانا ، وهي تحدثني ، ان تضع يدها على يدي ، و في حميا الحديث تقترب مني على سجيتها ، فتهبا انفاسها العبقة على شفتي ، فأحس وكان صاعقة أصابتني ، حتى لاو شك أن أغوص في الأرض ومع هذا يا فلهلم ، وفي اطار هذه الثقة العلوية او انني اعرف نفسي ، وتجاسرت اطلاقا انت تفهم طبعا ما أريد أن اقول ولكن كلا كلا ففؤادي ليس فاسدا الى هذا الحد -- اجل انه ضعيف ، ضعيف جدا - ولكن البس هذا درجة من درجات الفساد ؟

انها في نظري كائن مقدس وكل اندفاع عاطفي يسكن في حضرتها ولا املك ان اعبر عن احساساتي عندما أكون بقربها بل أشعر أن روحي تخفق في كل عصب من اعصاب جسدي وتمة مقطوعة تحسن عز فها على البيانو

بابداع ملائكي - مقطوعة بالغة البساطة ، ولكنها مع هذا بالغة الروحانية وهي معزوفتها المفضلة ، وعندما تعرف النغمة الأولى يزايلني
كل احساس بالألم والهم والاسي في طرفة عين اني مؤمن بكل كلمة قيلت عن سحر الموسيقى القديمة الا كم تسحرني اغنيتها البسملة ويحدث احيانا ،وانا على اهبة الاقدام على الانتحار ، أن تغني تلك المقطوعة ، وعلى الفور بخنفى الوجوم والجنون المخيمين على وجداني ، واتنفس بكل راحة وطلاقة مرة اخرى
فلهام ما الدنيا لدى افئدتنا بدوں الحب ؟ ما الفانوس السحري بدون الضوء ؟ ما عليك الا ان تضيء الشعلة بداخله حتى تشرق على الجدار الأبيض ابهي الصور والأشكال ولئن كان الحب يرينا ظلالا عابرة فحسب، الا اننا نشعر مع هذا بالسعادة عندما نراها كالأطفال الصغار - فتخف بنا الأشباح البديعة وتطير بنا كل مطار لم يتيسر لي اليوم أن أرى شارلوت ، ازعاقتني عن ذلك صحبة جماعة لم استطع منها فكاكا وماذا كنت عسيا ان اصنع ؟ لقد ارسلت خادمتي الى بيتها ، كي يتسني لي على الأقل أن أرى اليوم احدا نهم بقربها وحدث ولا حرج عن نفاد صبري وانا انتظر اوبته ، وعن الفرح الذي تلقينه به لقد أوشكت أن أضمه بين ذراعي واقبله ، لولا أن الحياء تملكني يقال أن حجر البونونا اذا ما وضع في الشمس اجتذب الأشعة ، ولذلك يبدو مضيئا في الظلام برهة من الوقت وهكذا كان الحال معي في شأن هذا الخادم فان مجرد تفكيري أن عيني شارلوت استقرتا على سحنته ، وعلى خده ، بل وعلى زبه ، قد جعل هذا كله يبدو لي عزيزا عظيم القيمة ، ستتي انني ما كنت الأرض التفريط فيه عندئذ ولو مقابل الف كراون مجرد حضوره أسعدني ايما سعادة وحذار أن تضحك مني يا فلهلم رى أمن الممكن أن يكون ما يسعدنا الى هذا الحد مجرد وهم ؟

عندما استيقظ في بكرة الصباح ، وأتطلع بقلب جذلان الى الشمس المشرقة الجميلة ، أهتف بحبور - : سأراها اليوم اليوم سأراها ثم لا تخالجني أي رغبة أخرى ، فكل شيء متضمن في هذه الخاطرة لا يسعني ان اوافق على اقتراحك أن أصحب السفير الى ٠٠ فأنا لا أحب الخضوع او التبعية ، ونحن جميعا نعلم أنه شخص فظ غير مستحب العشرة وتقول ان امي تود لي أن استخدم ، ولم أتمالك نفسي من الضحك من هذا الراي او ليس عندي من الشغل ما يكفيني ؟او لا يستوي في الواقع ان اقشر البازلاء أو أحصي حبات العدس ؟ أن العالم ينتقل من حماقة الى حماقة ، والمرء الذي يكدح لجمع المال او القس ساب التشريف او اي شبح اخر - لا لشيء الا مراعاة لرأي الآخرين ، وبغير ضرورة أو رغبة خاصة به ان هو الا احمق او غر اراك نلح كثيرا جدا في اصرارك اني اهمل رسومي ، بحيث يستوي عندي ان الزم الصمت وان اعترف بقلة ما رسمته في المدة الأخيرة واراني لم اشعر في اي وقت انني اسعد مما انا الان ، ولم افهم الطبيعة خيرا مما افهمها الان ، حتى اهون ورقة من أوراق العشب ، وايسر نبتة باثقة ، ومع هذا أراني عاجزا عن التعبير عن نفسي ، فقدراتي على التنفيذ امست واهنة جدا ، وكل شيء كأنه يسبح ويطفو أمامي ، بحيث يعجزني ان اخط خطا واضحا جريئا ولكن احسبني خليقا ان احرز نجاحا اكبر لو انصرفت الى تشكيل الصلصال او الشمع وسأحاول - اذا كتب لحالتي النفسية هذه ان نستمر امدا اطول - ان اتجه الى التشكيل ، ولو افغي ذلك مني ان اعجن الدفيق لقد شرعت في رسم صورة شارلوت ثلاث مرات ، وفي جميع هذه المرات كللت هامتي بالخزي وهذا ادعي لفيقي ، لانه كان يسعدني من في غاية السعادة أن أرسم الوجوه وقد خططت منذ ذلك الحين شكلها الجانبي ، ولا مفر لي من الاكتفاء بهذا اجل يا عزيزتي شارلوت سأرتب كل شيء ، وما عليك الا أن تكلفيني بمزيد من المهام ، وكلما كثرت المهام كان ذلك افضل

ولكن لا بد لي من ملتمس واحد : لا تستخدمي الرمل لتجفيف السطور الفالية التي تكتبينها إلي ، فاليوم سارعت برفع رسالتك الى شفني ، فضر ست بالرمل كثيرا ما قررت الا اراها بهذه الكثرة والتواتر ، ولكن من ذا الذي يملك المثابرة على هذا القرار ؟ ففي كل يوم أتعرض للغواية ، واقطع على نفسي العهد باخلاص أنني سأظل في الغداة بعيدا عنها ، ولكن ما أن يحين الغد حتى اجد سببا لا يقاوم للذهاب اليها ، وقبل أن أعي ما اصنع الفي نفسي معها من جديد فاما ان تكون قد قالت في العشية - : سأتي غدا عن يقين ومن يراه عندند قادرا على ان يظل بعيدا عنها - أو تكون قد كلفتن بمهمة من أي نوع : فرى من الضروري ان اذهب لأبلغها النتيجة بنفسيه او يكون جو اليوم بديما فأتمنى الى فلهايم وما ان العي نفسي هناك حتى أكبسه انني لا ابعد عنها الا بمقدار نصف مرحلة فأنا اذن داخلى دارد سحرها وسرعان ما اجد نفسي بجوارها وكان من عادة جدتي أن نروي لنا حكاية جبل من حجر المغناطيس ، فاذا ما اقتربت منه اي سفينة سلبها كل ما فيها من المصنوعات الحديدية ، وكانت المسامير تترك خشب السفينة لنطير إلى ذلك الجبل وهكذا يهلك جميع بحارتها وسط ذات الركام من الواح الخشب المفككة

لند جاء أجرته ولا مناص لي من الرحيل فانه لو كان هو خير الرجال وادبا هم وكنت أنا دونه في كل شيء لما العب أن نراه متملكا هذا الكان المهام الكمال فول متملكا حسبي هذا يا فلهلم ان خطيبها هنا وهو شاب وسيم فاضل لا يملك المرء ألا أن يستلطفه ومن حسن طالعي اني لم اكن موجودا عندم :النفيا فقد كان ذلك خليقا ان الحقلم قلبي وهو شاب شديد الرعاية بشعور الناس فلم يحدث أن قبلها مرة واحده في حضوري جزته السماء على ذلك خيرا ولا بد لي ان احبه لما يعاملها به من الاحترام وهو يظهر الرعاية لي ، بيد أني فيما اظن مد بن ذلك الى شار اوت اكثر مما انا

مدنن به لا مسلطا نه اياي فلدى النساء لباقة شديده في هذه الأمور ، ولا بد لهن من هذا، لأنهن لا بفلحن أن يحتفظن على الدوام بمتنافسين عملى ونام فيما بينهما الا انهن اذا ا ولحن في هذا ، فهن الرابحات وحلهن ولا يسعني الا ان اقدر البرت حق قدره ، فهدوء مزاجه يختلف أشد الإحلاف عن الدفاع مزاجي الذي لا استطيع ان اخفيه ولديه احساس جم بالكنز الذي يحوزه متمثلا في شارلوت وهو مبدا من حدة الطبع، وهي ابغني الخلال الى نفسي ويمدني رجلا ذا فطنة ، وتعلقي بشارلوت واهتمامي بكل ما يتصل بها يزيدان من نشوة انتصاره وحبه ولن انسال الا يغيظها احيانا بشيء من الغيرة الهيئة ، لعلمي انني لو كنت في مكانه لما وسعني ان اكون مبرءا كل البراءة من مثل هذه المشاعر لك أيا كان الحال في هذا الأمر ، فبهجتي مع شارلوث قد انقضت لك أن تسميها حماقة أو افتتانا ، فماذا في اسم ؟ فالجوهر يتحدث عن نفسه ولقد كنت قبل قدوم البرت أعرف كل ما اعرفه الان كشت اعرف انني لا استطيع أن أصبو اليها ، ولا أنا تطاولت الى ذلك اى فى حدود استطاعتي وانا بمحضر كل هذه الملاحة الا الهش تطلعا اليها ، والان تخيلني ، كالأبله ، احملق في دهشة وقد جاء اخر وحرمني من موضوع حبي اني لأعض شفتي ، وأحس السخط على أولئك الذين يطلبون مني أن استكين ، لأنه لا حيلة لي الا فلا فر من نير مثل هذه الحيل والذرائع وان لاهيم في الغابات ما وعندما أعود الى شارلوت وأجد البرت جالسا بجوارها في البيت الصيفي بالحديقة ، لا أطيق ذلك ، واسلك سلوك الأحمق الفور ، واقترف الف اندفاع نزق واليوم قالت لي شارلوت - : بحق السماء اكفف عنا المشاحنان من قبيل ما حدث ليلة البارحة : انك لترو عني عندما تكون بمثل هذا العنف والحقيقة - فيما بيننا - أنني أبتعد الان دائما عندما يزورها هو ، واشعر بالغبطة عندما اجدها بمفردها 8 اغسطس

صدقني يا فلهلم انني لم اكن اعرض بك عندما تحدثت بهذه الشدة عن اولئك الذين ينصحونني بالاستنكار للقدر الذي لا مناص منه ، لأنه تم يخطر ببالي ان في امكانك أن تكون من أصحاب هذا الراي ولكنك في الواقع على حق وليس لي الا اعتراض واحد، وهو أن المرء قلما يكون مجبرا في هذه الدنيا على أن يختار بين بديلين لا ثالث لهما فثمة أنواع متباينة جدا من السلوك والراي ، تماثل ما يوجد من شتى صن وف التفاوت فيما بين الأنف الأقني والانف الافطس واخالك تبيح لي ان الم بحجتك بأسرها ، ثم التمس لنفسي مهربا من معضلتك ان موقفك هو ما يخيل الي اني أسمعك تعبر عنه على النحو التالي : ، أما أن تكون لديك آمال في الحصول على شارلوت ، او ليست لديك آمال في الحصول عليها فان كانت الأولى فامض فيما انت ماض فيه ، وواصل الضغط والتقدم الى ان تحقق أمنيتك وان كانت الاخرى فكن رجلا ، وانفض عنك عاطفة تعسة حليقة أن تثير اعصابك وتدمرك وهذا يا صديقي كلام طيب ، ما اسهل أن يقال ولكن أتراك تطلب الى مخلوق تعس تذوي حياته ببطء تحت وطأة مرض مخامر ان يجهز على نفسه دفعة واحدة وعلى الفور بطعنة خجر ؟ أو ليس الاختلال نفسه الذي ينهك قواه ويستنزفها خليفا أن يجرده من الشجاعة اللازمة للاقدام عندي هذا الإجهاز ؟ ولعلك مجيبى ـ ان شئت بنشسيه مماثل : ـ ومن ذا الذي لا يفضل بتر ذراع على تعريض الحياة كلها للهلاك ؟

ولكني على كل حال لست على يقين من انني على صواب ، فدعنا سن هذه التسبيهات حسبك يا فلهلم فثمة لحظات أتمنى فيها لو قوت على النهوض ونفض هذا الأمر كله عني ، وأتمنى فيها لو فررت من هذا المكان ، لو عرفت اين المفر نفس الامسية رأيت أمامي اليوم مذكراتي التي اهملت امرها منذ مدة ، واني لفي د جمب من امرى كيف و رطب نفسي في هذه المتاهة خطوة في اثر خطوة واني لأعجب منى كف كنم ارى مو قفي بهذا

الوضوح كله ، ومع هذا بده فت بحرف العل الفرير بل اني لم ازل ارى النتيجة بوضوح ، ومع هذا لا افكر في النعرف بمزيد من الحيلة او لم اكن غرا اوسعني ان اقضي هنا اسعد وأبهج حياة فقلما تجتمع معاقل هذه الظروف المستحبة التي تكفل سعادة الانسان الفاضل ولكن واسفاه كم أحس ان القلب وحده هو الذي يصنع سعادتنا فما أحلى المرء أن يجد نفسه عضوا مقبولا في اسرة بكل هذا السحر ، وان يكون محبوبا كابن لدى الوالد فيها ، وكأب لدى اطفالها، ومحبوبا من شارلوت نعم هناك البرت النبيل الذي لا يعكر سعادتي مطلقا بأي امارة من امارات الشبق او حدة الطبع ، وبتلقاني دائما بأحر مودة ، ويؤثرني - بعد شاراوت - بأكرم حب في العالم ولا شك انك ستسر يا فلهلم لسماعنا ونحن ماضيان في نزهاتنا واحاديثنا كلها عن شارلوت وما من شيء يمكن أن يكون اسخف من ارتباطي به وارتباطه بي ، ومع هذا فالتفكير في هذا الارتباط يدفع بالدمع احيانا الى عيني وهو يحدثني أحيانا عن امها الممتازة ، وكيف أنها وهي على فراش الموت قد عهدت بنيها والقالها الى شارلوت ، اما شارلوت نفسها فقد عهدت بها اليه ، وكيف أن روحا جديدة - منذ ذلك الحين قد استولت عليها ، وكيف ان عنايتها وقلقها على راحتهم ورفاهيتهم قد جعلاها أما حقيقية لهم ، وكيف ان كل لحظة من لحظات وقتها صارت مخصصة لعمل من أعمال محبنها لهم وانشغالها بهم ومع هذا كله لم يفارقها مرحها وحبورها طرفة عين واني لأسير الى جواره ، واقطف الأزه ار وانا ماض في سيري فأصوغ منها عقودا مجدولة ، ثم التي بها في اول جدول نصادفه في طريقنا ، وار قبها وهي تطفو مبتعدة في أناة لست ادري هل نسيت ان اخبرك ام اخبرتك أن البرت سيظل مقيما هنا ، اذ عرضت عليه وظيفة حكومية ذات راتب طيب للغاية وقد فهمت انه يتمتع بحظوة عظيمة في البلاط والواقع أنني قلما التفيت بشخص يضارعه في دقنه المحافظة على المواعيد والمثابرة على العمل لا

شك في أن البرت افضل رجل في العالم وقد حدثت بيني وبينه مشادة غريبة بالأمس ، اذ ذهبت لأودعه لانه قام براسي أن اقضي بضوة ايام في هذه الجبال التي اكتب اليك منها الأن وبينما أنا أذرع حجرته وقع نظري على غدارتيه ، فقلت له - : أعرني غدارتيك هاتين لرحلتي فأجابني - بكل سرور ، بشرط أن تتولى حشودهما ، لانهما معلقتان هنا اجرد الزينة وانزلت من موضعها احداهما ، واستطرد هو : بس انتي منذ أوشكت على الاصابة بأذى من فرط حذري ، وانا ارفض أن تكون لي بمثل هذه الاشياء صلة وابديت له فضولي لمعرفة قصة ذلك فقال -- : كنت مقيما منذ ثلاثة اشهر في بيت صديق لي بالريف ، وكان معي طاقم من الفداران غير المحشوة ، وكنت انام خلي البال وذات عصر معلى كا جالسها بمفردي لا أصنع شينا ، عندما خطر لي ان البيت قد بهاجمه اللصوص في تلك الليلة ، وعندئذ نحتاج إلى استخدام الغدارات وانت تعرف كيف يجمع بنا الوهم عندما لا يكون لدينا ما يشغلنا فأعاليت الغدارات للخادم كي ينظفها ثم يحشوها وكان يلعب مع الخادمة ويحاول نرو بعها عندما انطلقت احدى الغدارات ، والله وحده يعلم كيف حدث هذا وانطلقت الرصاصة مخترقة يدها اليمنى ودمرت ابهامها وكان على أن اتحمل كل العنف والمذاب ، وادفع أجر الجراح ومنذ ذلك اليوم وانا ابقي جميع اسلحي غير محشوة ولكن يا صديقي - ما جدوى الحذر ؟ اننا لن نكون على حذر من جميع الاخطار الممكنة ، ومع هذا وانت يا صديقي تعلم انني كفيل بتحمل الناس جميعا الى ان يصلوا في فرارهم الى عبارة ومع هذا لانه من الجلي بذاته أن لكل فاعدة في الدنيا استثناءاتها ولكن البرت شخص بالغ الدقة ، شديد التطرف ها بحيث انه اذا نوهم انه قال كلمة واحدة فيها تسرع ، او افراط في النعميم ، او نصف صادقة ، لم يتوقفه بعد ذلك من التعديل والاحتراز والتحديد، بحيث ينتهي به الأمر وكأنه لم يقل شيئا على الاطلاق ، وهذه المرة كان المرت

مستغرقا عمق استفراق في موضوعه ، فكففت عن الاصغاء اليه وشرد خاطري في حلم من احلام اليقظة ، وبحركة مفاجئة وجهت فوهة الغدارة نحو جبيني ، فوق العين اليمنى ، فصاح البرت ، موجها الغدارة إلى الخلف م ماذا تعني ؟ فقلت : ولكنها غير معبأة فأجابني بصبر نافد : وان تكن غير معبأة فما الذي يمكن ان تعنيه بهذا ؟ انا لا افهم كيف يمكن لأي أمريء ان يبلغ به الجنون الى حد اطلاق النار على نفسه از مجرد هذه الفكرة في حد ذاتها تصدمني فقلت - : ولكن لماذا يخاطر اي امريء عند الحديث عن فعل ما بان ينعته بالجنون او الرشد ، وبأنه خير او شر ، حسن او رديء ، وما معنى هذا كله ؟ أدرست بعناية الدوافع الخفية لافعالنا ؟ أتفهم او ايمكنك ان تشرح الأسباب المفضية اليها ، والتي تجعلها لا مفر منها ؟ لو ادر كت هذا كله لكنت اقل من هذا تسرعا في احكامك فقال البرت : - ولكنك توافقني على أن من الأفعال ما هو اجرامي، ايا كانت البواعث التي تنبثق منها هذه الأفعال فوافقته على قوله هذا ، وهززت كتفي ، وأردفت - : ولكن مع هذا - يا صديقي الطيب - ثمة استثناءات ها هنا أيضا فالسرقة جريمة ، بيد أن الشخص الذي يرتكبها مدفوعا بفاقية الشديدة ولا غاية له الا استنفاذ اسرته من الهلاك ، أتراه خليقا بالرثاء امر بالمقاب؟ و من ذا الذي يلقي بأول حجر على الزوج الذي يندفع بحرارة السخطہ فيجهز على زوجته الخائنة ومفويها الخائن الغادر : او على الفتاة الني نسيت نفسها في ساعة ضعفها أمام اللذة وانساق م ع مسرأت الحب الولائية ؟ أن قوانيننا نفسها على ما تتسم به من برودة القسوة - تلين أمام هذه الحالات ، وتحجم عن العقاب فقال البرت : -هذه مسألة أخرى ، لأن المرء يفقد - تحت تأثير العاطفة الجامحة العنيفة - كل قدرته على اعمال الفكر ،ويعد عندئذ في حكم المخمور او المجنون فأجبته باسما - : اوه انكم يا اهل الفهم السليم مستعدون دائما ان تصبحوا: هذا تهور وجنون وغيبوبة ادراك فنتم ايها الاخلاقيون بالفوالهد

وم والانضباط ولذا تحتقرون المخمور والمتهور ، فتمرون به مرور للاوي، وتشكرون الرب - كالفريسي - لانكم لستم مثلهما أما أنا فكرت حتى غاب رشدي اكثر من مرة وكانت عواطفي دائما تحوم حول التهور ، ولايخزيني أن أقر لك بها ، لاني تعلمت ، من تجربتي ، ان جميع الرجال الخار قين للمعتاد ، الذين حققوا أعمالا عظيمة ومدهشة كانوا منذ الازل متهمين في نظر العالم بأنهم سكاري او مجانين وكذلك الحال في الحياة الخاصة ايضا ، فما أن يتصدى احد لانجاز عمل نبيل او كربهم حتى ترتفع الصيحة هنا وهناك أن هذا المرء مخمور او مجنون ؟ الا خزيا لكم ، ايه سا الحكماء فقال البرت - : هذه اندفاعة اخرى من اندفاعات مزاجك المتهور فمن دايك دائما أن تبالغ في كل قضية ، وما من شك انك في هذا مخطىء، لأننا كنا نتحدث عن الانتحار ، الذي تقارنه انت وتشبهه بالاعمال العظيمة ، مع انه من المستحيل أن تنظر اليه الا على انه ضعفا وأن يموت المرء أسهل بكثير من أن يتحمل حياة الشقاء بصبر وتجلد وكنت على وشك ان انهي المناقشة ، لأنه ما من شيء يستنفد صيرى ويخرجني منه مثل التفوه بأقوال شائعة بينما أنا أتحدث من سويداء قلبي ومع هذا هدأت نفسي لاني كثيرا ما سمعت من قبل هذه الملاحظات بعينها بغيظ شديد، واجبنه بشيء من الحرارة - : انت تسمى هذا ضعفا ، فحذار أن تضللك المظاهر اذا تمردت امة طال انينها تحت نير طاغية لا يحتمل ، وطرحت عنها أغلالها في النهاية آنراك تسمي هذا ضعفا ؟ أن المرء الذي يستنفذ بيه من السنة اللهب بلفى فواه البدنية و قد تضاعفت ، بحيت يرفع بكل يسر انتقالالا يكاد يموى على تحريكها في غيبة هذه الإنارة، كذلك من يهاجم عشرين شخصا من اعدائه ويحملهم على ان يولوا الأدبار ، وهو تحت تأثير الغضبه لامانا لحقته ، أترى مثل هذين يمكن أن يرميا بالضعف ؟ يا صديقي الطيب ، اذا كانت المقاومة قوة فكيف يسوغ لك أن تسمي اعلى درجات المقاومة ضعفا؟ فنظر الي البرت بامعان و قال

:- عفوك ولكني لست أرى أن الأمثلة التي أوردتها لها أدنى صلة بالموضوع فقلت - : هذا جائز جدا ، لانه كثيرا ما قيل لي ان اسلوبي في التمثيل از الشبيه يقع بعض التسيء على حدود السخف او التناقن ولكن هيا بنا نر هل لا يسعنا أن نضع المسألة في ضوء اخر ، او من وجهة نظر اخرى ، بأن نتساءل ماذا عسى أن تكون الحالة النفسية لشختي قرر ان يحرر نفسه من عباء الحياة - وهو عباء كثيرا ما يطيب حمله - لاننا بدون ذلك لا يمكن أن نفكر في الموضوع تفكيرا مندسفا فالطبيعة البشرية حدودها، فهي قادرة على تحمل درجة معينة من الفرح والحزن ؛ والألم ، ولكنها تتهاوى اذا ما تجاوزت جرعة هذه المشاعر حدود طاقة احتمالها ، فالمسألة اذن ليست هل المرء قوي ام ضعيف ؟ بل هل هو قادر على تحمل هذا القدر المعين من العذاب والعذاب قد يكون معنويا او بدنيا ، و في رأيي انه من السخف أن تنعت امرءا بالجبن لانه قتل نفسه ، كما أنه من السخف أن ننعت بالجبن من راح ضحية حمى خبيثة فصاح البرت - : هذه مغالطة مغالطة فأجبته - : أنها ليست مغالطة بالقدر الذي تتصوره فأنت موافق اننا ننعت المرض بأنه قاتل او مميت عندما يشد عنفه ضد الطبيعية ، بحيث يستنفد قواها ، فلا تستطيع أن تعود سيرتها الأولى والان ، يا صديقي الطيب ، هيا بنا نطبق هذا المبدأ على النفس وراقب شخصا في حالته الطبيعية المفردة ، وكيف تعمل الأفكار والخواطر لديه ، وكيف تكالب عليه الانطباعات والمؤثرات ، الى ان نستولى عليه عاطفة عنيفة مدمرة كل ما يتمتع به من تفكير هاديء ، وتحطمه في النهاية كل التحطيم وعبثا يحاول شخص سليم العقل سوى النفس هاديء الطبع أن يفهم حالة مثل هذا الموجود التعس ، وعبثا يحاول اسداء النصح اليه ، وانه ليعجز عن توصيل حكمته اليه ، مثلما يعجز الشخص الصحيح المسا في ان يبث قوته في العليل الذي يجلس بجوار فراشه وكان راي البرت في هذا الكلام انه « عام» اكثر مما

ينبغي فذكرته بفتاه كانت قد اغرقت نفسها منذ برهة وجيزة ، ورويت له قصتها وكانت هذه الفتاة مخلوقة طيبة ، نشأت في الجو الضيق المقفل الذي يسود الاجتهاد المنزلي والعمل المحدد لكل اسبوع فكانت لا تعرف بهجة تعدى النزهة سيرا على الأقدام يوم الاحد، منخذة لذلك ابهي زينتها ، ومعها صديقاتها ولعلها كانت تشارك أحيانا في الرقص اذا اقيم مهرجان او حفل راقص ، و تز جي ساعات فراغها في الثرثرة مع جارة لها ، فتتناقشان في فضائح القرية أو مشاحناتها ، وهذه كلها شواغل يسيرة تافهة كافية لملء فراغ قلبها وفي النهاية تأثرت حرارة طبيعتها برغبات جديدة طارئة ولما الهبت مشاعرها عبارات الثناء يزفها الرجال اليها ، بدت لها مسراتها البريئة السابقة غثة باهتة لا طعم لها ، إلى أن التقت اخر الأمر بشاب احسست انها منجذبة اليه بشعور لا سبيل لها الى وصفه ، واصبحت تعقد عليه كل آمالها ، ونسيت العالم من حولها فهي لا ترى ولا تسمع ولا تثمن شيئا سواه ، وسواه فحسبا هو وحده يحتل جميع افكارها ، واعزازها كله لا يبتغيا شيئا غيره فكل معناها أن تسير له ، وتحقق في اتحاد ابدي معه كل تلك السعادة التي كانت تنشدها ، وكل النشرة التي كانت تصبو اليها وكانت وعوده وعهوده المنكررة تؤكد لها امانيها ، واستولت على روحها ضمانه وكلمات الدليل التي تندفق من فمه وتزيد رغباتها المتفده ضراما وهكذا غدت وكأنها تطفو وسط عتمة مطبقة نغرر بها وتمنيها بما تتوقعه من سعادة ، واستثيرت مشاعرها العذراء حتى جاوزت ذروة التوتر ومدت ذراعيها عندئذ لتعانق مو ضوع أمانيها الأوحد وبعدها تخلى عنها حبيبها واخذت الفياة واختلط عليها الأمر ، والفت نفسها على شفا هاوية ، والفظلام مطبق من حولها فسلا امل امامها ، ولا مهرب ، لا عزاء ولا سلوان - فقد تخلى عنها ونبذها من كان وجودها كله مركزا فيه فام نعد نرى شيئا في العالم كله أمامها ، ولم تعد ترى أحدها في الافراد الكثيرين الذين يمكن أن يملأوا فراغ

قلبها انها مهجورة منبوذة من العالم كله ، وأعيه اها هذا الألم الممض الذي يعتصر روحها ودفعها دنما الى الارتماء في قاع الهاوية ، كي تلمع نهاية للالام اين احسان الموت ان عليك يا البرت ان تري في هذه الحكاية قصة الود دربين تها والان خبرني : أليست هذه حالة علة بدنية ؟ ليس الطبيعة من سبيل الى النجاة من النيه وفد أنهكت قواها واستفدت ولا قبل لها بالمني في الصراع والتحمل اكثر من هذا ، فكان لا بد للتعسة ان تموت وأخزى الله من يستطيع ان ينظر اليها بكل هدوء ويقول : يا القناة الحمفاء كان ينبغي عليها أن تتريث ، كان ينبغي عليها أن تتيسمع الزمن فرنسية محو هذا الان فتخف حدد يأسها وكانت خليفة أن نجد حبيبا اخر يسري عنها آلاما اشبه هذا بقول من يقول : يا للاحمق ايموت بحمى ؟ لماذا لم يتريث الى ان يسترد قواه ، و تهدا سورة دمه ؟ لقد كان كل شيء عندئذه حربا أن يسير على ما يرام ، وكان خليقا أن يكون حيا بيننا الان ولم يستطع البرت أن يبين صواب هذه المقارنة ، فأدلى بمزيد من الاعتراضات ، وكان من بينها انني انتقيت حالة فتاة جاهلة ، وانة لا يستطيع أن يفهم كيف يمكن التماس الأعذار لشخص عاقل اوسع من هذه النشاة أفقا وخبرات فهتفت به - : البشر بشر يا صديقي وبالغا ما بلغ مدى قدرته على التفكير والتعقل ، فهذه القدرة لا تجديه فتيلا عندما تعصف به الأهواء والعواطف، ويلفي نفسه محصورا في حدود الطبيعة النسيقة وكان الأولى في هذه الحالة ولكن لندع هذا الحديث الى فرصة اخرى وتناولت قبعتي ، فقلبي كان قد أفعم ، افترقنا من غير أن يقنع احدنا صاحبه فما اندر ما يفهم البشر بعضهم بعضا في هذا العالم ها اغسطس لا يمكن ان يكون هناك شك في انه ما من شيء لا غنى عنه في هذا العالم سوى الحب والاحظ الان ان شارلوت ما كانت لتفقدني من غير وخزة الم والاطفال انفسهم ليست لهم الا امنية واحدة ، أن آتي لزيارتهم مرة اخرى في الغد وقد ذهبت اليوم بعد الظهر لضبط اوتار بيانو شارلوت ،

ولكني لم استطع ذلك ، لأن الصغار أصروا ان احكي لهم حكاية ، وحثتني شارلوت نفسها على ان البي رغبتهم وسقيتهم الشاي وهم الان مسرورون بي راضون بوجودهم معي رضاهم بالوجود مع شارلوت تماما وقد رويت لهم أفضل حكاياتي عن الأميرة التي كان يخدعها الاقزام واني اتقدم بفضل هذا الندر با ، حتى اني ادهش للانطباع الذي تتر كه حكاياتي واذا اخترعت احيانا حادثة ثم انساها في السرد التالي لنفس الحكاية ، ذكروني بها على الفور وقالوا ان الحكاية كانت مختلفة في المرة السابقة ، ولذا اجتهد الان ان اروي حكاياتي بدقة وبنفس الصوت الرتيب الذي لا يتغير ابدا وهكذا اكتشفت مبلغ خطأ المؤلف الذي يفير في أعماله ، ولو بتحسينات من وجهة النظر الشاعرية فالانطباع الأول يتلقاه الناس طواعية ونحن بجبلتنا نصدق أبعد الاشياء عن التصديق : ومتى نقشت في الذاكرة ، فالويل لمن يحاول محوها للابد دائما من ان يكون الحال هكذا : أي لا بد منبع سعادتنا أن يكون ايضا ينبوع شقائنا ؟ أن الشعور الجارف المتقد الذي أذكي في قلبي حب الطبيعة ، وغمرني بطو فان من البهجة ، وجلب الفردوس بأسره أمامي ، قد انقلب الان عذابا لا يحتمل انقلب شيطانا يتعقبني باستمرار ويلهمني بلا توقف لقد كنت في الايام الخوالي - انظر من هذه الصخور ، مطلا على تلك الجبال عبر النهر ، على الوادي الأخضر المزهر الممتد أمامي ، وارى الطبيعة بأسرها تتفجر بالحياة متمثلة في البراعم من حولي ، واشهد الملال الكہ سبة من فرعها الى قدمها ، ومن سفوحها الى قممها ، بأشجار الغابة الباسقة وأشهد الوديان بكل منحنياتها المتباينة ، تظللها ابدع الاحراش والنهر ينساب فيما بين الأعشاب المتناو حة ، وقد انعكست في نفحة السحب الجميلة النې پز جبهة النسيم العليل عبر السماء وعندما كنت اسمع الخمائل من حولي نهج بموسبقى الإطيار المتناغمة ، دارى ملانين الهوام تتراقص في اخر شعاعات الشمس الذهبية التي تو فظ أنوارها الفاربة الخنافس فندندن

من اعماق مهادها المعتو شبة ، في حس استرعت انتباهي الى الارض الجلبة المحدقة بي ، وهناك الصخر الاجرد بفبت العشب الجاف بينما نبات الخلنج يزدهر فوق الرمال من تحسي هذا كله كان يعرض على انظاري واحساسي بالدفء الداخلي الذي تحرك االطبة جمعاء ويملا فلمي في داخل ددرى بالو هج نكت أيته وأيهدد بادرامى قدرة الرب في هذا الكون اللامتناهي ، وانا اراها راى المان جبال هائلة كانت بحدف بي ، والمهاوي كان تفقر واها نحب قدامي والشلالات النادرة كانت بندفق امامي والأنهار الجياشة المندفعة نيدفق دختر فة السهل الممرامي ، والصخور والجبال تردد هذه الأصداء من بعيد و في أعماق الارض رايت قوي لا حصر لها تموح بالحركة ، فتتضاعف الى ما لا نهاية في حين ندب على سطحها ، وتحت قبة السم اء عمان الالوف من الكائنات الحية أن كل شيء من حولي حي بحياة ليس الاشكالها حصر ، في حين بلون البشر المماسيا للامن ببيوتهم الضئيلة ، و من اعماقها بطرون - في خيالهم - على الكون المترامي يا للحمقى نمرا ففي وهمهم الكامل أن كل شيء صغير الحجم ولكن من الجبال التي لاتبلغ الاقدام ذراها ، وعبر الصحراء التي لم تدب فوقها قدم بشر ، و من أغوار المحيط المجهول ، تهب انفاس الروح الأزلي الخالق وكل ذرة منحها الوجود تجد نعمة في عينيه وكم من مرة الهمتني الطور المحلفة اسرابها من فوقي الرغبة في الانتقال الى شواطىء الامواه التي لا نهاية لها كى اجرع مباهج الحياة من الكأس اللانهائية ، وكي أشارك - ولو اللحظة واحدة -j نقوى روحي المحدودة في غبطة هذا الخالق الذي يحقق كل شيء في ذاته وبذاته يا صديقي العزيز ، أن مجرد تذكري هذه الساعات لم يزل مصدر عزاء لي بل أن هذا الجهد لتذكر هذه المشاعر التي لا توصف والتعبير عنها يسمو بروحي فوق قدرها ، ويجعلني احس احساسا مضاعفا بقلقى الراهن وكأنما انجابت الان ستار من أمام عيني ، وبدلا من منظورات

الحياة الابدية رايت هوة فاغرة فاها كالقبر امام ناظري في وسعنا أن نقول عن اي شيء انه موجود حقا ما دام كل شيء الى زوال ، وما دام الزمن يجرف كل شيء أمامه بسرعة العاصفة ووجودنا الصابر ، الذي يد فيه الطوفان العارم امامه اما ان تبتلعه الأمواج، أو يتحطم على الصخور ما من لحظة الا وهي تفترسك ، وتفترس كل ما يحيط بك ما من لحظة السبت فيها بس انت نفسك س أداة للدمار فأشد المسيرات براءة تحرم الحياة الوف الهوام المسكينة ، والخطوة الواحدة تدمر ما جمعته النملة الدءوب ، وتحول عالما صفيرا الى هيولي كلا ليست الكوارث النادرة الجسام في هذا العالم ، ولا الفيضانات التي تحرق قرى بأسرها ، ولا الزلازل التي تبتلع مدننا ، هي التي نؤمر في ، بل يعذب قلبي التفكير في القوة المدمرة التي تكمن في كل جزء من الطبيعة الكلية فالطبيعة لم تشكل شيئا لا يستهلك نفسه ، ويستهلك كل ما هو قريب منه وهكذا اتجول وانا موجع القلب أسى على ما يحيط بي من ارض وهواء و ق وى ناشطة في كل شيء ، حتى لقد غدا عندي الكون وحشا رهيبا يلتهم ذراريه باستمرار عبثا أمد ذراعي نحوها عندما استيقظ في الصباح من تهويماتي المتهافتة وعبثا أنشدها ليلا في فراشي ، عندما يكون حلم بريء قد خدعني واسعدني بها ، فصورها لي بجواري في الحقول ، وقد أمسكت بيدها وغمرتها بما لا يحصى من القبلات وعندما التمسها في تيه النوم وأنا احس انها قريبة مني ، تفيض الدموع من قلبي المعني ، وابكي على مستقبلي التعس وقد حرمت كل هناء

با للمصيبة يا فلهلم فروحي الناشط قد انحل الى حد التراخي ولا يسعني ان اكون عاطلا ، ومع هذا لا استطيع ان أشرع في الممل ولست استطيع التفكير ، فلم يعد عندي شعور بجمال الطبيعة ، والكتب غدت بغيضة الى فمتى تخلينا عن انفسنا ضمنا ضياعا تاما وكم من مرة تمنيت لو كنت فلاحا عاديا ، كي لا يكون عند استيقاظ في الصباح الا غرض واحد ومسمى واحد

وامل واحد لذلك النهار الذي بزغ فجره وكثيرا ما حسدت البارون عندما أراه غارقا في كومة من الأوراق والاضبابير، واتوهم نفسي سعيدا لو كنت في مكانه وكثيرا ما سيطر على هذه الشهور حتمى لسا. همم سرارا أن أكسب اليد والي الوزير طالبا ذلك المنصب في السياره الذي يقلن اره في مفدوري الحصول عليه وكان الوزير قد اظهر اهتماما بي ما وكثيرا ما حتي على طلب العمل ، الدي لن يستغرق أكثر من ساعة وبين الحين والحين نخطر اي حدايه الحمار الذي يعمل عليه حريماه فرنسي ان يرج ويلجم وامطوه حسى مان والحق أنني لا أدري اى فرار انخذ اللبس هذا اللهف على السفير بنيجه الملف النفس الذي سوف لاتنسي ايضا في كل مواده

فاليوم عيد ميلادي وفي وقت مبكر من هذا الصباح تلقت لفافة من البرت وما ان فتحتها حتى وجدت بها واحدا من الاشرطه الورديه في اول مره وقع فيها نظري عليها وكن وده طلبت منها مرارا أن تعطيني اياه وكان مع هذا الشريط مجلدان بهما طبعة فلنتاين الصغيرة الحجم ، وكنت قد تمنيت مرارا الحصول على هذه الطبعة لتفنيني عن مشعة حمل مطبعة ارنسنين الكبيرة الحجم معي في نزهاتي على الاقدام فهالنى ترى كيف يحيان مبادرين الى البة أمنياني ورغائبي وكيف يفهمان كل ما تتطلبه الصداقة من اللفتات الصفرة ، وانها لأرقي من هدايا العظماء الغالية الثمن التي تشعرنا بالهوان وللمته ذلك الشريط الف مره، وكنت مع كل نفس من أنفاسي استنشق ذكرى تلك الأيام السعيدة التي لن تعود، والتي كانت تغمرنى باعمق الحبور وهذا قدرنا يا فلهلم ولست اتذمر منه ، فازاهير الحياة ليست الا رؤى عابرة سريعة الزوال وما أكثر ما يتلاشى منها ولا يترك وراءه أثرا وما اقل ما يبقى منها ويقل ثمرة والثمرة نفسها نادرا ما تنضج ومع هذا فما اكثر الأزاهير او ليس غريباب يسا صديقي - ان ترانا نسمح للقلة التي تنضج

حقا من ثمارها ان تتعفن وتذهب هباء من غير أن نفيد منها متعة ؟ وداعا فالصيف رائع بهي وكثيرا ما أتسلق الأشجار في بستان شارلوت ، واهز الكمثرى المتعلقة بأعالي أغصانها حتى تسقط ، وشارلوت واقفة على الأرض تحتها ، فتتلقفها بيديها ما اتعسني من مخلوق لماذا أغرر بنفسي على هذه الصورة ؟ ماذا عسى ان تكون حصيلة كل هذه العاطفة الجامحة التي لا هدف لها ولا نهاية ؟ اني لا أستطيع أن أصلي وأنضرع الا لها فخيالي لا يرى شيئا سواها وجميع الأشياء المحيطة بي لا حساب لها الا بمقدار صلتها بها ، واني الاستفرق في هذه الحالة الحالة ساعات طويلة هنية ، الى ان ارى نفسى مضطرا الى انتزاع نفسي بعيدا عنها فعندما أقضي عدة ساعات ف ي صحبتها ، الى ان أحس اني ذبت في هيئتها ، ورشاقتها ، وتعسير افكارها القدسي ، يستثار عقلي ووجداني تدريجا الى غاية ما بعدها غاية ، ويقيم بصري ، ويضطرب سمعي ، وتتلاحق انفاسي، وكأنما يأخذ قاتل بخناتي وينشد قلبي الخفاق الراحة من حواسي المتوجعة ولا أعي أحيانا أموجود أنا أم غير موجود وما لم أجد في مثل تلك اللحظات تعاطفا ، وما لم تسمح لي شارلوت بمتعة العزاء الأسيف بغسل يديها بدموعي ، شعرت بأنه لا بد لي من انتزاع نفسي منها ، أما الأضرب على غير هدي في انحاء الريف ، او لأتسلق حاجزا صخريا وعرا محفوفا بالخطر ، او لأشق لي طريقا عنوة بين الأشجار الملتفة حتى لتمزق اثوابي الاشواك البرية ، عندئذ أجد الراحة بل أني استلقي أحيانا على الأرض ، وقد غلبني التعب على امري ، وأكاد أموته ظما وأحيانا ، في ساعة متأخرة من الليل ، والقمر ساطع من فوقي ، الون بشجرة عجوز في غابة منعزلة ، كي اريح أطرافي المنهكة ، وهنالك انام - من فرط الاعياء - حتى طلوع النهار ان صومعة الناسك - يا فلهلم - وخرقته ، واكليل الشوك ، خليفة ان تكون ترفا ونعيما بالقياس الى ما أكابده وأعانيه وداعا فلست أرى نهاية لهذا اللقاء

اللهم الا القبر لا بد لي من الابتعاد شكرا لك يا فلهلم لانك حسمت لي حيرتي وترددي لقد فكرت طيلة اسبوعين في مغادرتها لا بد لي من الابتعاد والرحيل عنها و قد عادت الى البلدة ، حيث تقيم في بيت صديقة لها ثم هناك البرت - اجل لا بد لي من الذهاباوه ، يا لها من ليلة يا فلهلم و في وسعي منذ الآن أن أتحمل أي شيء لن اراها بعد الان من لي بأن أسقط على عنقك ، وأفرج عن العواطف التي تبلبل فؤادي ، بفيض من الدموع والتنهدات هأنذا هنا، مكافحا كي اهدىء من روعي واني لفي انتظار طلوع النهار فعند انبلاج الصبح ستكون الخيل امام الباب اما هي فنائمة بسلام وهدوء، لا يطوف بخلدها أن أنظارها وقعت على للمرة الأخيرة لقد تحررت وقد واتتني الشجاعة في لقاء دام ساعتين معها الا انشي لها نيتي ويا له من حديث ذاك الذي دار بينا يا فلهلم وكان البرت قد وعد بالحضور لدى شارلوت في الحدينة بعد العشاء مباشرة وكنت في الشرفة تحت شجرة كستناء عالية ، ارقب الشمس الغاربة ، ورايت الشمس وهي تفو ص للمرة الأخيرة وراء ذلك الوادي البديع ، وذاك الجدول الصامت وكثيرا ما الممت مع شارلوت بهذه البقعة نفسها وشهدت معها ذلك المنظر الفخم المجمد ، والان هانذا أذرع جيئة وذهابا ذلك الممشى الاثير عندي ، وكثيرا ما اشرقت على روحي عاطفة خفية هناك قبل ان اعرف شاراوت ، وكم أبهجنا ونحن في فجر تعار فنا عندما اكتشفنا ان كلا منا يحب نفس البقعة ، وهي حقا رومانتيكية كأي بقعة اسرت لب فنان وخياله على وجه الأرض والمنظر تحت اشجار الكستناء فسبح مترام ولكني اتذكر اني ذكرت لك فيما سبق هذا كله في احد خطاباتي ، ووصفت لك اجمة اشجار الزان المالية في نهايته ، وكيف أن هذا الممشي بزداد عتمة وقناما كلما تعرج مساره فيما بينها ، إلى أن ينتهي بمعتكف مظلم له كل مفاتن الوحدة والمزلة ولم ازل أتذكر شعور الاسي الغربب الذي دهمني في أول مرة دخلت فيها ذلك المعتكف المظلم ،

في وهج الظهيرة لقد خامرني شعور خفي مبهم بأن هذا المكان سيكون حتما سر جا لسعادة لي او شقاء وقد قضيت نصف ساعة نهبا الصراع محتدم بين الذهاب والعودة واذا بي اسمع أصواتهما ، صاعدين الى الشرفة المكشوفة ، فجريت اليهما الاستقبالهما وارتجفت وأنا اتناول يدها وأقبلها ولما بلغنا قمة الشرفة طلع القمر من وراء التل الذي تكسوه الاشجار وشجر بيننا الحديث في مختلف الأمور ، ودون أن ندري اقتربنا من ذلك المعتكف المعتم ودخلته شارلوت ، ثم جلست على الأرض ، وجلس البرت بجوارها وحذرت حذو هما ، بيد أن اضطرابي لم يسر لي أن أظل جالسا فترة طويلة ، فنهضت قائما ووقفت قبالتها ، ثم تمشيت جيئة وذهابا ، وعدت بعد ذلك الى الجلوس كنت قلقا تها ولفتت شارلوت انتباهنا إلى ضوء القمر وتأثيره البديع في المنظر ، لانه كان يفضض المرئيات فوق الترفة قبالتنا من وراء أشجار الزان والحق أن المنظر كان رائعا فخما ، وزاد مسن روعته و ابهته ذاك الظلام الذي كان يغمر البقعة التي نحن فيها وظللنا صامتين بعض الوقت ، واذ بشارلوت تقول - : كلما سرت في ضوء القمر جلب الى ذاكرتي كل اصدقائي المحبوبين الراحلين ، فتمتلىء نفسي بخواطر الموت والحياة المقبلة والتفت نحوي وأردفت : لسوف نحيا من جديد مرة أخرى با فيرتر ولكن هل سيعرف كل هنا الاخر مرة اخرى ؟ ما رأيك في هذا ؟ ما قولك ؟ فقلت لها وأنا أتناول يدها بين يدي ، وقد اغرورقت عيناي بالدموع - :شارلوت سيرى كل منا الأخر مرة اخرى ، هنا وفيما بعد ، سوف نلتقي ولم استطع ان اقول اكثر من هذا فلماذا يا فلهلم تلقي على هذا السؤال بالضبط في اللحظة التي كان خوفه تفرقنا القاسي يغمس فؤادى ؟ قالت شارلوت - : وهل يعرف هؤلاء الأعزاء الراحلون كيف نقضي اوقاتنا هاهنا ؟ هل حقا يمر فون متى يكون بخير وسعادة ؟ ايمر فون متى نتذكرهم بكل حب واعزاز ؟ أن شبح امي يطيف بي ، ويحوم حولي ، في

ساعات المساء الساكنة ، وانا جالسة بين اطفالي ، اراهم متجمعين بقربي كما تعودوا التجمع بقربها ، وعندئذ ارفع عيس ي القلقتين اللهفانتين الى السماء ، وأتمنى ان تكون امي ناظرة من عل الينا ، لترى كيف أبر بالوعد الذي قطعته على نفسي لها في لحظاتها الأخيرة، ان اكون اما لالفالها وبكل حرارة مشاعري اهتف بها عندئذ :عفوك يا أعز الامهات وغفرانك ان كنت لا أملا الفراغ الذي تركته كما ينبني واسفاه إني لأبذل غاية جهدي فها هم كاسون طاعمون ، بل افضل من هذا كله انهم ها هم موضع الحب والرعاية والتربية الصالحة الا ليتك - أيتها القديسة العذبة الروح -- ترين السلام والتناغم اللذين يفمرانا ، لكنت اذن خليقة أن تمجدي الرب بكل مشاعر العرفان والشكر ، ذلك الرب الذي تضرعت اليه في ساعاتك الأخيرة أن يكلانا ويسعدنا جل ، هكذا يا فلهلم قالت شارلوت ، ولكن من ذا الذي يستقليع ان يصور لك طريقة كلامها ، والروح السماوي الذي شع منها وهي تقول هذه الكلمات التي أنقلها لك على الورق باردة هامدة وقاطعها البرت بلطف قائلا - : أن هذا كله يؤثر فيك تأثيرا أعمق مما ينبغي يا عزيزتي شارلوت وانا اعلم ان روحك تطيف بها مثل هذه الذكريات البديعة ولكني أتوسل اليك علم أن روحك يؤثر فيك فقاطعته قائلة - : اوه يا البرت اني واثقة بأنك لا تنسى تلك الأمسيات التي تعودنا أن نقضيها نحن الثلاثة حول المائدة الصغيرة المستديرة ، عندما يكون والدي متغيبا ، وقد اوى الصفار الى فراشهم ، وكثيرا ما يكون معك كتاب جيد ، الا انك قلما تطالع فيه ، لأن حديث تلك المخلوقة النبيلة كان مفضلا على كل شيء تلك المرأة الجميلة ، المشرقة ، الذكية ، اللطيفة ، التي لا تكف عن العمل والكدح رغم كل شيء والله وحده يعلم كم أغرقت فراشي في الليل بالدموع وانا ابتهل اليه ان اشب فأكون مثلها فألقيت نفسي عند قدميها ، وأمسكت بيدها ، وأغرقتها بدموعي

هاتفا : سه شارلوت ان نعمة الله وروح امك يبار كانك فقالت ، وهي تضغط يدي ضغطا رفيقا - : آه لو كنت رايتها لقد كانت جديرة بأن تعرفها وأحسب انني كنت على وشك الإغماء ، لانني لم أتلق في حياتي ثناء كهذا ، وأردفت في قائلة ؟ - ومع هذا كان مقضيا أن تموت وهي في زهرة عمرها ، عندما كانت طفلتها الصغرى لا تتجاوز الشهور الستة وكان مرضها قصير الأمد ، بيد أنها كانت هادئة ومستسلمة ، ولم تشعر بالشفاء الا من اجل اطفالها فحسب ، ولاسيما اصغرهم وعندما دنا أجلها ، امرتني أن أحضرهم اليها ، فأطعتها وكان الاحدث سنا من بينهم لا يعرفون شيئا ع ن خسارتهم الفادحة الوشيكة ، اما الاكبر سنا فكان الحزن مستوليا عليهم وقد غلبهم على أمرهم ، وكان الجميع و فوفا حول سريرها، ورفعت يديها الواهنتين نحو السماء ودعت لهم وتضرعت من اجلهم ، ثم قبلتهم الواحد تلو الاخر ، و قالت لي: كوني أما لهم فأعطيتها يدي ، فقالت : در لقد اخذت على عاتقك الشيء الكثير يا ابنتي : أنه حنان الأم ورعايتها ما تعدين به ؛ ولقد شهدت مرارا كثيرة من دموعك وعرفانك انك تدرين ما حنان الأم ، فاظهري هذا لاخوتك واخواتك وكوني عند واجباتك واخلاصك وامانتك لأبيك ، كما لو كنت زوجنه ، فستكونين انت مصدر راحته وعزائه «وسألت عنه ، وكان قد أعتكف ليخفي عنا المه الممض ؛ فقد كان محطم القلب ولقد كنت انت يا البرت في الحجرة ، وسمعت هي صوت حركة ، فسألت من هذا، وطلبت أن تدنو منها وراحت تفحصنا نحن الاثنين بنظرة تفيض رضا وطمأنينة ، اعرابا عن ايمانها بأننا سنكون سعيدين معا وعندئذ وقع البرت على عنقها وقبلها هاتفا - : واننا لكذلك وسنكون دائما كذلك ؟ فالبرت نفسه ، الهادىء غالبا ، اهتز لقولها أما أنا فبلغ اضطرابي غاية ليست بعدها غاية واستطردت هي - : وهكذا كان على مثل هذه المخلوقة ان تفارقنا الا قل لي يا فيرتر : هل كتب علينا - يا الهي - ان نفارق كل ما هو عزيز لدينا في

هذه الدنيا ؟ ما من أحد شعر بهذا الفقد كما شعر به الأطفال ، فقد بكوا وأعولوا امدا طويلا بعد ذلك ، لان رجالا داكني الوجوه حملوا امهم الغالية بعيدا ونهضت شارلوت من مكانها ، فنبهني ذلك ، ولكني بقيت جالسا ، وامسكت بيدها ، فقالت : سه فلننصر ف فقد تأخر الوقت وحاولت أن تسحب يدها ولكني ابقيتها في يدي وهتفت - : لسوف يرى كل منا الاخر مرة اخرى ولسوف يتعرف كل منا على الاخر بالغا ما بلغ التغير الذي يعترينا وانا الان ذاهب ، ذاهب بمحض اختياري ، ولكني ان قلت وداعا الى الابد ، فقد لا أكون عند قولي هذا وداعا يا شارلوت وداعا يا البرت ولسوف نلتقي مرة اخرى فأجابتني باسمة - : نعم نلتقي غدا فيما اعتقد غدا ؟ ما كان أعجب وقع هذه الكلمة على آه انها لم تكن تعرف الحقيقة عندما سحبت يدها من يدي وسارا معا هابطين الممشي ووقفت احدق في أثرهما في ضوء القمر والقيت بنفسي على الأرض وبكيت ثم وثبت واقفا ، وجريت فوق الشرفة المكشوفة ، وأبصرت تحت ظلال اشجار الزيز فون ثوبها الأبيض يختفي قرب بوابة الحديقة ومددت ذراعي نحوها وتلاشت من ناظرني

وصلنا الى هنا بالأمس ، والسفير متوعك الصحة ، ولن يخرج الا بعد مرور بضعة أيام ، ولو كان أقل شكاسة وانقباض لكان كل شيء على ما يرام واني لأرى بوضوح أن السماء كتبت علي أن أمر بمحن جسام ، بيد ان الشجاعة وخفة القلب قد تتحملان أي شيء خفة القلب انسى الأبتسم اذ اجد مثل هذه الكلمة تصدر عن قلمي فأيسر المزيد من خفة القلب عسية أن تجعلني أسعد مخلوق تحت الشمس ، ولكن هل لي ان اقنط من مواهبي، ف ي حين أن اخرين ممن هم أقل مواهب مني بكثير جدا يتمخطرون أمام ناظري بأقصى ما يمكن من الرضا عن أنفسهم ؟ أيتها الحكاية الصمدانية يا من أدين لها بكل قواي وقدراتي ، لماذا لا تحتجزي عني بعض النعم التي

اسبغتها علي ، لتمنحيني عوضا عنها شعور بالثقة بالنفس والرضا ولكن صبرا فلم يزل من الممكن أن يغدو كل شيء على ما يرام ، فاني أؤكد لك ، يا صديقي العزيز ، انك كنت على حق فمنذ اضطسسررت اضطرارا أن اخالط الأخرين باستمرار الاحظ ما يصنعون ، وكيف يشغلون وقتهم ويستخدمون قدراتهم ، وأنا أشعر بمزيد من الرضا عن نفسي فنحن بمقتضي تكويننا الطبيعي ميالون دوما الى مقارنة انفسنا بالاخرين ، وسعادتنا او شقاؤنا يتوقفان كثيرا جدا على الأشياء والأشخاص المحدقين بنا ولهذا السبب فليس هناك ما هو اخطر من الوحدة او العزلة ففيها تكون مخيلتنا متأهبة دواما للنهوض والانبراء محلقة على جناحي الوهم - عرضة لتطوير الاخرين وكأننا في وسطهم ادني المخلوقات طرا فجميع الأشياء تبدو أعظم مما هي في الحقيقة ، ولذا تلوح لنا ار تى واسمي وهذا العمل من جانب النفس طبيعي جدا ، فنحن نشعر دائما بنقصنا، ونتوهم اننا ندرك في الاخرين الملكات والصفات التي ليست النا، فنعزو اليهم ايضا كل ما نستمتع به ، وبهذا الاسلوب نكون نكرة الإنسان الكامل السعيد : وهو انسان لا وجود له، هذا الا في خيالنا نحن اما عندما نتصرف - برغم الضعف وخيبة الأمال - الى العمل الجاد، وتثابر عليه بثبات ، فكثيرا ما نجد اننا - مهما غيرنا مسارنا سه نمعن في التقدم اكثر من الاخرين الذين تساندهم الرياح وحرب المد ، والواقع انه لا يمكن ان يكون هناك رضا اكبر من مسايرة خطوات الاخرين ، او التقدم عليهم في مضمار السباق بدات ارى وضعى هنا اكثر احتمالا ، اذا اخذنا في الاعتبار جميع الظروف واني اجد فائدة جمة في كثرة شواغلي كما أن كثرة عد د الأشخاص الذين اقابلهم ، واختلاف مساعيهم ومقاصدهم ، يستحدث لي تسلية متنوعة وقد تعرفت على الكونت س ويزداد تقديري له يوما بعد يوم فهو رجل قوي العقل عظيم التمييز ، ولكنه وان كان ابعد نظرا من سائر الناس الا انه لا يجنح بسبب ذلك الى برود

الطبع او الاسلوب ، بل هو خليق ان يلهم المرء أحر مشاعر المودة ومستعد لتلقيها وقد ابدى اهتماما بي في احدى المناسبات عندما احتجت الى صريف بعض الأعمال معه ، فقد ادرك ، منذ الكلمة الأولى ، أن كلا منا يفهم الاخر ، وان في مقدوره أن يتحدث الي بلهجة غير التي يستخدمها مع الاخرين ولن استطيع ان افيه حتى من تقدير صراحته ورقته معي وانها لاعظم واصدق بهجة لي ان ارقب عقلا كبيرا بينه وبين عقلي تعاطف

لقد صدق ما توقعته ، فها هو السفير يسبب لي ضيقا لا حد له فهو اشد قدم تحت السماء دقة وتدقيقا : يؤدي كل شيء خطوة بخطوة بكل ما تتسم به المرأة العجرز من تزمت في الدقة فهو رجل يستحيل على اي انسان ان يرضيه ، لأنه لا يرضي عن نفسه ابدا وانا احب أن اودي الأعمال بانتظام ومرح ، والتى فرغت من عمل تحيته جانبا اما هو فيعيد باستمرار اوراقي قائلا : ا س انها لا بأس بها ، ولكني أوصيك ان تعيد النظر فيها مرة اخرى ، لان المرء يستطيع دائما أن يحسن فيها باستخدام لفظ انضل، او ظرف او حال او حرف انسب لمقتضى الحال وعندئذ أفقد صبري كله ، وأتمنى لو يخطفني الشيطان فهو يريد حذف حرف جر او حال وهو يبفض كل انواع التعديلات التي ل دي غرام بها ، واذا كانت انغام عصرنا غير مضبوطة على الانتاج الرسمي ، فلن يفهم المعنى الذي نرمي اليه وانه لمن نكد الطالع أن تكون على صلة بمثله ومعرفتي بالكونت س ٠٠٠ هي التعويض الوحيد عن مثل هذا الخلاء وقد قال لي منذ ايام بصراحة انه شديد الاستياء للمصاعب والتعطيل التي تصدر عن السفير وان أمثاله عقبات أمام انفسهم وأمام الاخرين على السواء ، وأردف ذلك بقوله - : ولكن على المرء أن يذعن ويتحمل ، شأنه شأن المسافر الذي ينبغي عليه أن يصعد جبلا ، فلو لم يكن الجبل حيث هو ، لكان الطريق اقصر والعطف وايسر ، ولكنه موجود حيث هو ، ولا بد للمسافر أن يعبره ويدرك ذلك الشيخ السفير) انعطاف

الكونت نحوي وتحيزه لسسي ، فيضيق بذلك ، وينتهز كل فرصة للنيل من الكونت على مسمع مني ومن الطبيعي أنني أدافع عنه ، وذلك ما يجعل الامور اسوا مما هي وبالأمس آثار استنكاري ، لأنه عرض بي ايضا بنبرة قائلا - : ان الكونت رجل دنيا ومجتمع ، ورجل أعمال جيد ، واسلوبه ايضا جيد ، وينساب في الكتابة بسهولة ، ولكنه سه شأن كل عبقري سليم يحظ بتعليم متين ونظر نحوي وعلى وجهه تعبير كأنه يريد أن يعرف هل شعرت باللطمة التي تلقيتها أم لا، ولكنها لطمة لم تحدث الاثر المرغوب فيه لاني احتقر الشخص الذي يمكن أن يفكر ويتصرف على هذا النحو ومع هذا تصديت له ، ورددت عليه بالشيء غبر اليسير من الحرارة ، فقلت له ان الكونت رجل اهل لكل احترام بسند من طبعه وخلقه ، وبسند م ن صفاته المكتسبة وعلمه ايضا وانني لم الق في حياتي كلها مثيلا له في احتشاد عقل بالمعرفة النافعة المتعددة الجوانب وفي امتلاك ناحية كل هذه الموضوعات المتباينة التي يحسنها فعلا، ومع هذا يخصص نشاطه كله التفصيلات العمل العادي فكان هذا الذي قلته مجاوزا طريقته في الفهم ، واستأذنت في الانصراف حتى لا تثور ثائرة غضبي بسخافة اخرى من سخافاته وانت الملوم على هذا كله ، لانك انت الذي اقنعتني ان احني عنقي لأضع عليه هذا النير ، بكثرة ما وعظتني وبشرتني بحياة العمل والنشاط فلئن لم يكن من يستنبت الخضر ويحمل غلاله الى المدينة في ايام السوق خيرا من استخداما ومشغلة لوقته ، فأنا مستعد أن أعمل عشر سنوات اخرى في هذه السخرة التي ارى نفسي مكبلا اليوم بأغلالها يا للتعاسة ، والاعياء ، اللذين يمني المرء بشهودهما بين ظهراني اولئك البلهاء الذين يلقاهم المرء في المجتمع هاهنا ويا لطموح المكانة والمنصب وما اكثر ما يترصدون ويتربصون ويكدحون للوصول الى الحظوة والترقي ويا للعواطف الهزيلة المزدراة التي تتراءى لنا هنا عارية لا يسترها شيء فلدينا ها هنا امرأة - مثلا - لا

تكف عن تسليمة الجمع بحكايات وحكايات عن عائلتها وضياعها والغريب خليق ان يعدها مخلوقة بلهاء ، اداه راسها ادعاء المكانة والجاه والثراء ، بيد انها فى الحقيقة اسخف منها وادعى للضحك منها : فان هي الا ابنة كاتب المحكمة من اهل هذه الناحية ولست أدري كيف يمكن للكائنات البشرية ان تحط من ذاتها الى هذا الحد اواني لألاحظ في كل يوم مزيدا بعد المزيد من حماقة الحكم على الاخرين قياسا على انفسنا وأجد هنا مشقة عظيمة جدا مع نفسي ، وقلبي في حالة اضطراب مستمرة، حتى انني راض تماما و قانع بأن ندع الاخرين يواصلون مساعيهم ، وحسبهم ان يتركوا لي ممارسة مثل هذا الحق وما يثيرني اكثر من اي شيء هو المدى التعس الذي تصل اليه التمييزات بين الاقدار والمراتب واني لأعرف تمام المعرفة مبلغ لزوم وحتمية الفروق بين الأوضاع، وعدم التساوي فيها ، واقدر تماما تلك المزايا والحقوق التي استمدها شخصيا من هذا المبدا ، ولكني لا أطيق أن تتحول هذه المؤسسات الى حواجز وسدود أمام الفرصة اليسيرة م ن فرص السعادة التي يمكن أن أحظى بها على وجه هذه الدنيا وقد تمر فت أخيرا بالانسة ب وهي فتاة لطيفة جدا ، استطاعت أن تحتفظ بروحها وأساليبها الطبيعية الفطرية وسط هذه الحياة المصطنعة وقد سررنا كلانا بهذا الحديث الأول الذي جرى فيما بيننا ، فطلبت اليها عند الانصرافي أن تأذن لي في زيارتها ، فوافقت بأسلوب لطيف ورقيق جدا، جتي انني انتظرت حلول هذه الاحظة السعيدة بصبر نا فذ وهى ليست من مواليد هذه البقعة ، بل تقيم هنا مع عمة لها ولكن سحنة هذه الممة لا تأسر القلب و قد وجهت لها الكثير من اهتمامي، وخصصتها بمعظم الحديث ، وبعد أقل من نصف ساعة اكتشفت ما أخبرتني به ابنة اخيها بعد ذلك ، من أن عمتها العجوز لا تملك الا ثروة صغيرة ، ونصيبا اصفر من هذا ايضا من الفهم والادراك ، ولذا فهي لا تستشعر شيئا من السرور او الاهتمام الا بشجرة انساب أسلافها ، ولا تجد

حماية او امنا الا في مولدها النبيل ، ولا متعة الا في اشراف من ذرى قلعتها على رءوس المواطنين الوضعاء وما من شك في أنها كانت وسيمة في شبابها، و لعلها في مقتبل عمرها كانت تزجي وقتها بارضاء نزواتها لاهية بقلوب وحواس الكثيرين من الشبان المساكين ، فلما نضج سنها اذعنت لنسير ضابط من المحاربين القدماء ، الذي رد لها منحته من شخصها واستقلالها اليسير في صورة مشاركته اياها ما يمكن أن نسميه عصرها النحاسي وقد مات عنها ، فهي اليوم ارملة مهجورة منعزلة ، تقضي عصرها الحديدي بمفردها، ولا تريد أن يدنو منها احد ، ولا يريد احد ان يقربها ، اللهم الا لاجل ملاحة ابنة اخيها اي نوع هذا الذي ينتمي اليه اولئك الرجال الذين يشغلون تفكيرهم بالشكليات والمراسم ، ويقضون سنين مخصصين جهودهم العقلية والبدنية التحقيق هدف واحد ، هو التقدم في ذلك المسار خطوة واحدة ، ومكافحين لا لشيء الا لكي يشغلوا على المائدة مكانا أعلى مما كانوا فيه وليس هذا من خلو من الشواغل عدا هذا، بل هم على العكس يحشمون انفسهم كثيرا عناء باهمالهم العمل المهم في سبيل هذه التفاهات فى الاسبوع الماضي ثارت مسالة تتعلق بالاسبقية في حفل انزلاق ، مما ادى الى افساد متعتنا بأسرها فهذه المخلوقات البلهاء لا تستطيع أن ترى ان المكان ليس هو الذي يبغي العظمة الحقيقية ، وأن من يشغل المكان الأول ليس - اللهم الا نادرا - هو الذي يقوم بالدور الرئيسي فكم من ملك يحكمه وزراؤه ، وكم من وزراء بحكمهم سكرتير وهم ؟ ومن في هذه الحالة هو الرئيس الحقيقي ؟ انه به في نظري - من يستطيع أن ينفذ ببصيرته الى حقيقة الأخرين ، ولديه من القوة او البراعة ما يجعل قوتهم أو أهواءهم في مقدمة ما يريد تنفيذه من اهدافه شخصيا

كان لا بد لي أن أكتب اليك يا عزيزتي شارلوت من هذا المكان ، من حجرة ضفيرة في خان ريفي ، حيث اعتصمت لائذا بها من عاصفة هوجاء نفى

مدة اقامتي كلها فى ذلك المكان التعس ، حيث سكنت بين غرباء - غرباء حقا عن هذا القلب - لم أشعر في اي وقت بأقل ميل للتراسل معك اما وانا في هذا الكوخ، في هذا المعتكف ، في هذه العزلة ، مع الجليد ، والريح تضرب مصراع نافذتي ، فأنت اول من فكرت فيه ، فمنذ دخلت هذا المكان وصورتك ماثلة أمام خاطري ، بكل الذكري - وانها يا شارلوت لذكرى مقدسة غاية في الرقة ايتها السماء الرحيمة النعمة اعيدي لي تلك اللحظة السعيدة ، لحظة لقائنا في باكورة تعار فنا الا ليتك تريني - يا عزيزتي - وسط دوامة هذا التشتت فقد جفت ينابيع حواسي وذهني، ولكن قلبي لم يستطع شيء في اي وقت أن يملاه ولا أحظى بأي لحظة من لحظات السعادة ، فكل شيء باطل الأباطيل ، الكل باطل ما من شيء يحركني وكأنني واقف امام اصنام الألاعيب الأرجواز : ارى الدمى الصغيرة تتحرك ، وأتساءل اليس ما ارى محض وهم وخداع نظر واني لأتسلى بهذه الدمي، ولكني بالأصح انا دمية من بينها، ولكنني عندما أمسك احيانا بيد جاري احسها غير طبيعية ، واسحب يدي وانا ارتجف، وفي المساء اقول السوف استمتع بشروق شمس الغد ، ومع هذا أظل مستلقيا في فراشي ، وفي النهار الي على نفسي أن أتجول في ضسوء القمر ، بيد انه اذا حل المساء أظل في عقر داري ولا ادري لماذا اصحو ولا لماذا أنام أن الخميرة التي كانت تبث الحياة في وجودي قد ذهبت والطلسم الذي كان يبهجني في وجوم الليل ويوقظني من كرى الصباح قد قرب مني الى الابد وقد وجدت مخلوقا واحدا هنا يثير اهتمامي ، وهو الانسة ب وهي تشبهك يا عزيزتي شارلوت ، ان كان من الممكن أن يشبهك احد لا اعلم انك ستقر لين : د كه لقد مر في اخيرا كيف يزجي عبارات المجاملة الرقيقة : وهذا صحيح الى حد ما فقد رضت نفسي على ان اكون لطيف المعشر مؤخرا، لأنه لم يكن في وسعي أن اصنع غير هذا وصار عندي الكثير من حضور البديهة ، وتقول

السيدات أنه لا مثيل لي في فهم الاطراء وأرلك ستقولين الزيف والبهتان ، لان هذه تكمل ذالك ولكن لا بد لي أن أحادثك عن الانسة ب ان لها روحا ذكيا يكاد يطفر م ن وميض عينيها الداكنتي الزرقة ومكانتها مصدر عذاب لها ، ولا ترضي رغبة واحدة من رغبات فؤادها وهي مستعدة أن تنسحب طواعية من دوامة المظاهر ، وكثيرا ما نصور أنفسينا حياة من السعادة الصافية وسط مشاهد العزلة في أعماق الريف ، ثم تتحدث عنك يا عزيز تسسي شارلوت ، لأنها تعر فك ، وتكن التقدير لسجاياالك ، وهو تقدير غير مفتعل، بل يصدر عنها طواعية انها تحبك ويسرها أن تكوني موضوع الحديث بيننا الا ليتني جالس عند قدميك في حجرتك الصغيرة المفضلة ، والأطفال الاعزاء يلهون من حولنا واذا ما ازعجولك ، قصصت انا عليهم حكاية مروعة من حكايات الجن ، فيتحلقونني بانتباه صامت ها هي الشمس تشرب في جلال ، واشعتها الأخيرة تسطع على الثلج الذي يغطي وجه الريف لقد سكنت العاصفة ، ولا بد لي من العودة إلى اليماني وداعا هل البرت معك ؟ وكيف حاله معك ؟ غفر الله لي هذا السؤال ؟

منيت طيلة الأسبوع الماضي بأسوا طقس ، بيد أن هذا كان نعمة علي وبركة نطيلة مقامي ها هنا لم تجد السماء بيوم معتدل الجو ساطع الشمس الا وضاع علي هذا اليوم بتطفل شخص ما أما مع اشتداد المطر، والريح الصرصر ، والجليد ، والعاصفة ، فاني أغبط نفسي بأن الجو في الداخل لا يمكن أن يكون أسوا منه في الخارج ، ولا هو في الخارج يمكن ان يكون اسوا منه داخل الجدران ، وبذاك ارضي بالأمر الواقع فاذا ما اشرقت الشمس في الصباح واعدة بيوم رائع ، فلا يفوتني أن أهتف الان وقد حلت بركة أخرى من السماء ، فلن يفوتهم ان يفسدوهاى على دابهم في افساد كل شيء ، من صحة وشهرة وسعادة وسرور ، وهم غالبا ما يرتكبون ذلك عن حماقة أو جهل او بلاهة ، وهم يحسبون أنهم صادرون عن افضل النيات وأكاد في

كثير من الأحيان أتوسل راكعا على ركبتي ، أن يكونوا أقل تصميما على تدمير انفسهم ٠

اخشى انني لن استطيع الاستمرار طويلا مع سفيري هذا ، فقد او شك ان يتجاوز كل طاقات الاحتمال فهو يصرف عمله بأسلوب سخيف جدا، حتى انني كثيرا ما اضطر الى مناقضته ، منجزا الأمور على طريقتي الخاصة ، ومن الطبيعي بعد ذلك أن يراها تمت بصورة غاية في السوء و قد شكاني اخيرا لهذا السبب لدي البلاط ، ووجه الوزير الي اللوم ٠٠٠ وكان اللوم مخففا جدا في الحقيقة ، ولكنه لوم على كل حال ونتيجة لهذا كنت على وشك أن أقدم استقالتي، واذا بي اتلقى خطابا أذعنت له بكل احترام، اعتمادا على الروح السامي النبيل الكريم الذي أملاه وقد حاول مرسله أن يلطف حساسيتي المفرطة ، واعرب لي عن تقديره لافكاري الرفيعة عن الواجب ، والقدوة الصالحة ، والمثابرة على العمل ، على اعتبار أن هذه كلها من ثمرات حماسية شبابي ، وقال ان تلك الحماسة باعث قوي لا يجب أن يقضي عليه ، ولكنه يوصيني بتلطيفه ، لينفسح أمامه مجال العمل المثمر لكل خير

وهأنذا مستريح البال لمدة اسبوع اخر ، ولا أعاني من الشقاق مع نفسي ان الرضا وراحة البال من اثمن الأمور ولكم كنت اتمنى انها الصديق العزيز لو كانت هذه الجواهر الغوالي أدوم بقاء وأقل عرضة للزوال بارك الله فيكم يا صديقي العزيزين ، وأفاء عليكما السعادة والهناء اللذين أباهما علي واشكرك يا البرت لانك خدعتني فقد ظللت انتظر نبأ تحديد يوم قرانكما ، وكنت انوي في ذلك اليوم، أن اقوم بكل الجد بانزال صورة شارلوت الجانبية عن الحائط ، وان اواريها مع بعض الأوراق الأخرى التي في حوزتي ولكن ما انتما الان قرينان ، متحدان بالزواج ، وصورتها لم تزل ها هنا ليكن ، ولتبق اذن حيث هي ولم لا ؟ فأنا أعلم أني لم أزل أحد أعضاء مجتمعكما ، وانني لم أزل أشغل مكانا لا يمس في قلب شارلوت ،

بل انني أحتل فيه المكان الثاني ، وأنا أنتوي الاحتفاظ النفسي بهذا المكان والي لقمين أن اجن لو انها نسيتني الا ان هذه الفكرة بمثابة الجحيم لي يا البرت وداعا يا البرت وداعا يا م لاك السماء وداعا يا شار لوت لقد حدث لي أمر مؤسف ، سيبعدني حتما عن هذا المكان لقد عيل صبري انه الموت ولا سبيل إلى اصلاح ما وقع ، وأنت وحده الملوم، لأنك أنت الذي حثثتني وأرغمتني على شغل هذا المنصب الذي لم أكن مهيأ له بحال من الاحوال

ولكي لا تعزو مرة اخرى هذه القارعة الى حدة مزاجي المندفع الطائش، :

ابعث اليك - يا سيدي العزيز - بسرد بسيط خال من التزويق للمسألة برمتها ، كما لو كان مؤرخ من مؤرخي الوقائع هو الذي يصفها لك ان الكونت او يستلطفني ويقدرني هذا أمر معروف جيدا ، وقد ذكرت هذا لك مائة مرة وقد تفديت معه بالأمس ، وهو اليوم الذي تعود فيه النبلاء أن يجتمعوا ببيته في المساء ولم تخطر لي هذه الجمعية ببال من قبل ، ولا خطر لي اننا - نحن الأصاغر او المرءوسين - لا ننتمي الى هذا المجتمع لقد تعشيت اذن مع الكونت ، وبعد الغداء انتقلنا الى البهو الكبير وتمشينا جيئة وذهابا معا ، وتحدثت معه ، ومع الكولونيل ب ، الذي انضم الينا وعلى هذا النحو اقتربت ساعة الاجتماع والله يشهد انني لم أكن أفكر في شيء ، واذا بمن يدخل ؟ الليدي ، يصحبها زوجها النبيل ، وابنتهما البلهاء الماكرة ، بخصرها الصغير وعنقها المسطح، وعبروا بجواري في غطرسة ، وهم يرمونني بنظرات الازدراء ولما كنت من أعماق فؤادي أبغض السلالة كلها ، لذا قررت ان انصرف ، ولم أنتظر الا ريثما تخلص الكونت من ثرثرتهم الوقحة كي استاذنه في الانصراف ، واذا بالانسة ب اللطيفة المعشر تدخل القاعة ولما كنت لا القاها الا وشعرت بسرور قلبي ، لذا بقيت وتحدثت اليها ، متكئا على مقعدها ، ولم أشعر - الا بعد م رور فترة من الوقت - انها مرتبكة ، حتى قد كفت عن الرد علي بأسلوبها الطلق المعهود منها ،

فأدهشني هذا وصدمني ، و قلت لنفسي : - يا اله السماء ايمكن ان تكون هي ايضا كالاخرين ؟ وشعرت بالضيق ، وكنت على وشك الانسحاب من القاعة ، ولكني بقيت مع هذا ، متمحلا المعاذير لسلوكها معي ، متوهما انها لم تكن تقصد ما بدر منها ، ولم تزل تخامرني الآمال في تلقي ما يدل على مودته ا وتقديرها وعندئذ وصلت بقية الجماعة وكان فيهم البارون ف في حلة كاملة ترجع الى حفل تتويج فرنسيس الأول ، والمستشار ، ومعه زوجته الصماء ، والزري الملس ، الذي تحمل سترته القديمة الطراز آثار اصلاح حديث ، وبه اختتم الجمع ، وتحدث مع بعض معار في ، ولكنهم كانوا يجيبونني في اقتضاب وكنت مشغولا بملاحظة الانسة ب ، ولم الاحظ أن النساء كن يتهامسن في اقصي القاعة ، كانت تخاطب الكونت بكثير من الحرارة وكل هذا روته لي فيما بعد الانسة الى ان تحرك الكونت في النهاية وأقبل نحوي ، وانتحي بي جانبا في الشرفة وقال لي - : انت تعلم ما هي عاداتنا السخيفة ، وقد لاحظت أن الجماعة هنا مستاءة من وجودك هنا وما كنت شخصيا ، لأي سبب من الأسباب فهتفت به : ام عفوك يا صاحب السعادة كان ينبغي علي أن أفكر في هذا الأمر من قبل ، ولكني واثق بأنكم ستغفرون لي هذا السهو اليسير، وقد كنت على وشك الانصراف على كل حال منذ برهة ، ولكن سوء طالعي هو الذي استبقاني وابتسمت ثم انحنيت ايذانا بالانصراف ، فشد على يدي بأسلوب عبر عن كل شيء ، وأسرعت انا بمغادرة الجمع الموقر، ووثبت الى عربة ، وركبتها الى م ووقفت اتأمل الشمس الغاربة من قمة التل ، وقرات تلك الفقرة الجميلة من هومروس التي يصف فيها اكرام الرعاة وفادة اوليس كانت فكرة بديعة حقا وعدت الى بيتي لاتمشي في المساء، ولكن بضعة اشخاص كانوا مجتمعين في الحجرة ، وقد قلبوا ركنا من اركان غطاء المائدة ، وراحوا يلعبون الزهر ودخلا الطيب القلب ، فوضع قبعته عندما رآني واقترب مني وقال بصوت خفيض :

-لقد وقع لك حادث مؤسف اليوم فهتفت - : انا ؟ لقد ارغمك الكونت على الانصراف من الجمعية فقلت - : الا فليتخطف الشيطان الجمعية لقد سرني كثيرا أن أنصرف منها فقال - : اني لسعيد ان اراك تأخذ الأمر بهذه الخفة ، وكل ما هنالك انني آسف لك ، لان الموضوع كثر حوله الكلام فعلا وعندئذ بدات المسألة تؤلمني، وتوهمت أن كل من جلس ونظر نحوى ولو مرة احدة انما كان يفكر في هذا الحادث ، وشاعت المرارة في فؤادي وفي هذه اللحظة كنت خليقا ان اغرس خنجرا في صدري ، لشعوري ان كل امريء يرثي لحالي ، وتصوري مبلغ انتصار اعدائي الذين يقولون أن هذا دائما هو حال المغرورين ، الذين يدير الزهو رءوسهم فيصطنون احتقار الشكليات ، وما إلى ذلك من سفاسف الأمور ولك أن تقول ما تشاء عن التجلد ، ولكن ارني الإنسان الذي يستطيع أن يتحمل في صبر ضحكات البلهاء ، وقد تمكنوا منه ولا يسع المرء أن يتحمل ضحكاتهم بلا تذمر ، الا عندما تكون على غير اساس كل شيء يتآمر ضدي فاليوم قابلت الانسة ب وهي تتنزه على الأقدام ولم أملك نفسي من الانضمام اليها ، ولما صرنا على مبعدة معقولة من رفيقاتها ، اعربت لها عن شعوري بتغير احوالها معي ، فقالت بلهجة تشي بالانفعال - : اي فيرتر كيف تسني لك - وانت تعرف قلبي به ان تسيء تأويل ما خامرنى من كرب ؟ فما كان أشد ما أعانيه لاجلك منذ لحظة دخولك القاعة وقد تو قمت ما حدث برمته ، وكنت مائة مرة على وشك ان اذكره لك فقد كنت أعلم أن ال س ، وآل ت خليقون أن يفضلوا مغادرة الحجرة على البقاء بها في صحبتك وكنت أعلم أن الكونت لا يمكن ان يغضبهم او يقطع صلته بهم والان قد كثر الكلام جدا في هذا الشأن فهتفت بها - : كيف ؟ وحاولت ان اخفي انفعالي ، لان كل ما كان ادلين قد ذكره لي بالامس ارتد الى ذهني ارتدادا اليما في تلك اللحظة فقالت تلك الفتاة الودود ، وقد اغرورقت عيناها بالدموع ، فلم أكد أتمالك نفسي ،

وأوشكت أن القي بنفسي عند قدميها - : ما أشد ما كلفتني هذه الحادثة المؤسفة حتى الأن نصحت - : وضحي كلامك وانهمرت الدموع على خديها ، فكدت اجن ، ومسحت هي دموعها وهي لا تحاول اخفاءها وقالت :

-انت تعرف عمتي ، وكانت حاضرة ، ولك أن تتصور في اي ضوء نظرت الى هذه المسألة فأمس مساء ، وهذا الصباح ايضا يا فيرتر أجبرت على الأصفاء لمحاضرة عن معرفتي بك واضطررت ان اسم ع ادانتك والحط من قدرلك ، ولم استطع - لم أجرؤ - ان اقول الكثير دفاعا عنك وكانت كل كلمة تخرج من فمها بمثابة خنجر غاص في قلبي ولسم تشعر بمدى وصمتها لو انها اخفت عني كل شيء ، وأخبرتني فضلا عن هذا بكل الو تاحات التي سيتم تداولها بشأني ، وكيسسسف سيتم النصر للاشرار ، وكيف سيتهلنون فرحا للعقاب الذي سيحل بكبريائي ، وبالهوان الذي سألقاه لاستخفافي بأقدار الاخرين ، ذلك الاستخفاف الذي كثيرا ما لاموني عليه ولقد أيقظ سماعي - يا فلهلم - لكل هذا العطف والتعاطف الصادق كو امن انفعالي ولم أزل في حالة اهتياج مفرط واني لأتمنى لو رايت رجلا من خصومي يتنقصني بسبب هذا الحادث كي اقتله من فرط غيظي لعل دمه المسفوح يخفف من ثورة غضبي الجائح ولقد امسكت مائة مرة بخنجر ، وهممت أن افرج به كرب هذا القلب ، ويحدثنا علماء التاريخ الطبيعي عن سلالة نبيلة من الجياد تقطع بغريزتها احد شراييها بأسنانها، اذا ما اشتدت حماستها وبلغ منها الإعياء في السباق الطويل ، كي تتنفس بمزيد من الطلاقة والحرية ، ولكم حاولت أن أشق في جسدي شريانا ، كي اوفر لنفسي التحرر الابدي قدمت استقالتي الى البلاط ، وأتمنى أن تقبل ، فاصفح عني لاني لم استشرك قبل ذلك ، فلا بد لي من مغادرة هذا المكان وانا اعلم انكم جميعا ستحضونني على البقاء ، ولذا ارجوك أن تبلغ النبأ ملطفا الى والدتي اني لعاجز عن ان اصنع لنفسي شيئا ، فكيف يتسنى

لي اذن ان اصنع شيئا لمساعدة الآخرين لسوف يكربها انني اجهضت ذلك المستقبل الذي كان يمكن أن يجعلني في البداية مستشارا خاصا، ثم وزيرا ، وانني انظر الى ما ورائي بدلا من التقدم الى الأمام ولكن أن تدلي بما شئت من حجج واسباب كانت خليقة أن تدعوني إلى البقاء ، ولكني راحل ، وهذا حسبك ولكيلا تكون جاهلا بمصيري ، اذكر لك ان امير موجود هنا ، وهو مسرور جدا بصحبتي ، ولما سمع بعزمي على الاستقالة دعاني الى بيته الريفي ، كي اقضي شهور الربيع معه وهنالك سيترك لي حرية التصرف في وقتي تماما ، ولما كنا متفقين في جميع الأمور ، ما عدا شيئا واحدا ، فسوف اجرب حظي ، واصحبه شكرا لك على خطابيك كليهما وقد تريثت في الرد الى ان احصل على رد من البلاط ، فقد خفت أن تتقدم والدتي إلى الوزير كي تحبط مسعاي ولكني عرفت ان طلبي قد اجيب ، وقبلت استقالتي ولن اميد عليك هنا على اي مضض قبلت ، ولا ما الذي كتبه الوزير في رده لانك خليق عندئذ أن تجدد تحسر على تصر في وقد أرسل الي ولي العهد هدية قوامها خمسة وعشرون رو كائية (عملة ذهبية(، أن ه ذه الرقة حركت مشاعري حتى دمعت عيناي ولهذا السبب لن أتقاضى من امي النقود التي كنت قد طلبتها سأغادر هذا المكان غدا ، ولما كان مسقط راسي لا يبعد عن الطريق السلطاني الا ستة أميال ، ففي نيتي أن أتوجه لزيارته مرة أخرى ، واستعيد أحلام طفولتي العذبة وسأدخل من نفس البوابة التي اخترقتها مع امي ، عندما غادرت ـ بعد وفاة ابي ـ ذلك المعتكف البديع لتنغمس في حياة المدينة المقبضة وداعا يا صديقي العزيز ، وستصلك انباء عن مستقبلي العملي لقد زرت مسقط راسي بكل ولاء الحجيج وخشوعهم ، وخامرتني مشاعر غير متوقعة فبالقرب من شجرة الدر دار الكبيرة، التي تبعد عن القرية مقدار ربع مرحلة ، ترجلت من العربة ، وأمرت أن تسبقني ، كي استمتع بمفردي بكل حيوية وسرور قلبي بلدة

ذكرياتي ، ووقفت هناك تحت هذه الدردارة بعينيها التي كانت فيما مضى نهاية نزهاتي على قدمي ، والغاية من هذه النزهات ايضا شد ما تغيرت الأشياء منذ ذلك الحين ففي ذلك الزمن الغابر ، كنت في معمعان جهلي الهنيء أتنهد تلهفا على عالم لم أكن أعرفه ، كنت آمل ان اجد فيه كل لذة ومتعة أما الآن ، ابان عودتي من ذلك العالم الرحيب ، في اكثر ما جئت بي معي - يا صديقي - من الأمال المخيبة والخطط المحبطة ولما تأملت الجبال التي تمتد أمام ناظري ، خطر لي كم من المرات كانت هذه الجبال موضوعا لأعز رغباتي وهنا تعودت أن اجلس ساعات متوالية ، و قد شدت نظراتي اليها ، متمنيا من أعماق فؤادي أن يتاح لي التجوال في ظل الغابات ، وان أضل طريقي في تلك الوديان ، التي تبدو بديعة عن بعد وعلى اي مضض كنت اغادر هذه البقعة الساحرة، عندما تنتهي ساعة رياضتي واستجمامي ، وينتهي بذلك ما حصلت عليه من رخصة للتغيب عن الدار ودنوت من القرية ، فاذا كل البيوت الصيفية العتيقة المعروفة ، وكل الحدائق وقد تجددت ذكراها نتعرفت عليها من جديد ، ولم أحبب ما استجد من البيوت والحدائق ، وسائر التغييرات التي أدخلت على المكان ودخلت القرية ، وعاودتني كل مشاعري القديمة وليس في مقدوري - يا صديقي العزيز - ان ادخل في التفصيلات ، برغم جمال احساساتي ، لان هذه التفصيلات ستبدو سمجة عند السرد ونويت آن اقيم في ساحة السوق ، بالقرب من بيتنا القديم وما أن أخلت حتى تبينت أن قاعة المدرسة - حيث كان اطفالنا يتعلمون على يد تلك المراة العجوز - قد تحولت إلى حانوت وتبادر إلى ذهني كل الأحزان والهموم والدموع والقهر التي عرفتها في ذلك المكان الذي كنت أخاله سجنا وكانت كل خطوة تحدث عندي انطباعا جديدا ومن يحج الى الاراضي المقدسة لا يلتقي بكل هذه الكثرة من المواضع الحبلى بالذكريات الرقيقة ، وقلما تتأثر روحه ويشعر بكل هذا الخشوع وقد تكفي

حادثة واحدة على سبيل التمثيل فقد تعقبت مسار جدول الى مزرعة ، كانت فيما مضى مقصدا بديعا لرياضة المشي عندي ، ووقفت عند البقعة التي كنا ونحن صبية -- نمتع انفسنا ونتسلى باللهو على سطح مائها ، وتذكرت جيدا كيف كان من عادتنا فيما مضى أن نرقب مسار ذلك المجرى نفسه ، ونتعقبه بلهفة واستطلاع، متخيلين صورا رومانسية للاقطار التي سوف يخترقها ، ولكن مخيلتي كانت تصاب بالاعياء ، ف ي حين يستمر الماء في تدفقه الى مسافات ابعد ، الى ان يكل توهمي ويعجز عن تصور تلك المسافات غير المرئية ولقد كانت هكذا تماما - يا صديقي العزيز - افكار اسلافنا الصالحين ، بهذه السعادة ، وبهذه الحد ود الضيقة ولذا كانت مشاعرهم وكان اشعارهم ناضرة كالطفولة وعندما يتكلم اوليس عن البحر الذي ليست له حدود ، وعن الأرض التي لا نهاية لها ، كانت تعبيراته صادقة طبيعية عميقة الحس تحفها الأسرار فما أهمية ما تعلمته كما تعلمه كل غلام يختلف الى المدرسة ، من أن العالم كروي ؟ أن الإنسان لا حاجة به الا الى القليل م ن الأرض للاستمتاع ، والى ما هو أقل من ذلك المقدار لراحته الاخيرة انا الان مع الامير في مقر صيده وهو رجل يستطيع المرء أن يعيش معه في سعادة ، فهو صادق امين غير متكلف ولكن يحيط به - مع هذا - أشخاص فيهم غرابة ، عجزت تماما عن فهمهم وهم لا يبدون من اهل الشر ، بيد أنهم ايضا لا تبدو عليهم امارات اهل الشرف والأمانة ، واشعر أحيانا بميل الى الاعتقاد بأمانتهم ، ومع هذا لا أتمكن من اقناع نفسي بالثقة بهم ويحزنني ان اسمع الأمير يتحدث احيانا عن امور قرا عنها او سمع بها فحسب ، ويأتي كلامه عنها على نحو ما صورها للاخرون وهو يقدر فهمي ومواهبي اكثر مما يقدر قلبي ، ولكني لست نخورا الا بهذا القلب ، فهو المنبع الوحيد لكل شيء : لقوتنا ، وسعادتنا ، وشقائنا أما المعرفة التي عندي ففي وسع سائر الناس ان يحصلوها ، في حين أن قلبي بخصني

وحدي دون سواي من البشر ثبتت في راسي خطة لم اكن انوي ان احدثك عنها حتى تتحقق : اما وقد حبطت الان ، ففي وسعي أن أذكرها لك فقد فكرت أن أدخل الجيش ، وظللت امدا طويلا متمنيا أن أخطو هذه الخطوة ولقد كان هذا في الواقع هو السبب الرئيسي وراء مجيئي الى هنا مع الأمير ، لانه جنرال في خدمة جيش وقد ذكرت له هذا المقصد في احدى نزهاننا معا على الاقدام ، فلم يوافق عليه ، وكان مجنونا مطبقا الا اصفي لمبررات قراره هذا قل ما شئت ، فلن استطيع البقاء هنا بعد الآن ولماذا ابقي ؟ ان مرور الزمن يثقل، علي هنا بسبب الفراغ والأمير شخصيا من الطف ما يكون معي، ومع هذا لست على سجيتي ، فليس هناك في الواقع شيء مشترك بيننا على الاطلاق انه من اهل الفهم ، بيد انه فهم عادي جدا وأحاديثه ليست مصدر امتاع لي اكثر مما يمكن ان استمده من تصفح كتاب جيد الأسلوب سأبقى هنا اسبوعا أخر ، وبعد هذا الشرع في اسفاري مرة اخرى ورسومي هي أفضل ما صنعته منذ حللت ها هنا والأمير متذوق للفنون ،ومن الممكن ان يتحسن لولا أن عقله مكبل بالقواعد الباردة والافكار التقنية المجردة وأحيانا ينفد صبري، عندما انطلق خيال متوقد في التعبير عن الفن والطبيعة ، واذا به يتدخل بمقترحاته ويستخدم استخداما عشوائيا مصطلحات الفنانين التقنية ها قد ارتددت مرة اخرى جوالا ، اضرب في الدنيا طولا وعرضا ولكن ما تراك تكون انت ايضا ؟ الى اين تراني ذاهب ؟ سأفضي اليك بهذا بيني وبينك اراني مضطرا للبقاء ها هنا اسبوعين اخرين ، وبعد ذلك اعتقد انه من الخير لي آن ازور مناجم ولكني أضلل نفسي هكذا فالواقع اني اريد ان اكون بالقرب من شارلوت مرة اخرى وهذا كل شيء واني لأبتسم م ن تعلات قلبي ، واصدع بما يمليه قلبي كلا كلا لم يزل كل شيء بخير كل شيء بخير انا زوجها رباه ، يا من منحتني الوجود ، ان كنت قد كتبت هذه السعادة لي، لكانت كل حياتي سلسلة متصلة من صلوات

الشكر ار فمها اليك ولكني لن أتذمر اغفر لي هذه الدموع، واغفر لي هذه التمنيات العقيمة هي زوجتي ؟ الا أن مجرد التفكير في ضم أعز مخلوقات السماء هذه بين ذراعي يكاد يطيش صوابي ان كياني كله يا عزيزي قلهلم يشع ر بالتقلص والتشنج عندما ارى البرت يضع ذراعيه حول خصرها النحيل ولكن هل لي أن أعترف لك ؟ - ولم لا يا فلهلم ؟ انها كانت خليفة أن تكون اسعد معي مما هي معه فالبرت ليس الرجل الذي يرضي رغائب مثل هذا القلب ، أن قلبهسا يتطلب نوعا معينا من الحساسية ، انه يتطلب ... قصارى ما اعنيه ان قلبيهما لا يخفقان بايقاع واحد ، وفي اتحاد تام كم من مرة - ي ا صديقي العزيز - ونحن نطالع معا فقرة ما من كتاب مثير للاهتمام ، وقد بدا أن قلبي و قلب شارلوت يتلاقيان ، بل وفي مئات أخرى من المناسبات حينما كانت عواطفنا تتكشف بتأثير قصة عن شخصية من الشخصيات الخيالية ، كنت احس ان كلا منا خلق للاخر ولكنه يا عزيزي فلهلم يحبها بكل نفسه وما الذي لا يستحقه مثل هذا الحب ؟ لقد فوجئت بزيارة لا تطاق ، فجففت دمعي ، ورتبت افكاري ، والان وداعا با خبر صديق لست وحدي العائر الجد فجميع البشر مخيبو الآمال ، تخذلهم توقعاتهم لقد قمت بزيارة المراة الصالحة التي عرفتها قديما تحت اشجار الزيزفون وقد اسرع اكبر ابنائها للقائي ، وسمعت امه صيحات فرحه فخرجت الينا ، ولكن منظرها كان يوحي بالاكتئاب وكانت اولى كلماتها لي - : وا حسرتاه يا سيدي العزيز لقد مات ابني الصغير جون وكان جون اصغر ابنائها ولذت بالصمت وقد عاد زوجي من سويسرا ولم يجلب معه مالا على الاطلاق ولولا أن بعض العطونيين من الناس أعانوه لاضطر الى تسول نفقات الطريق الى الوطن ، وقد اصابته الحمى وهو في الطريق ولم استطع جوابا ، بيد اني قدمت للصغير هدية ودعتني لتناول شيء من الفاكهة ، فاستجبت لها ، وغادرت بعد ذلك المكان بقلب أثقلته

الأشجان مشاعري دائمة التغير وأحيانا تنفتح أمامي توقعات سعيدة ، ولكن واسفاه لا بدمن هذا الا برهة قصيرة، ثم عندما اغيب في أحلام يقظتي لا أملك إلا أن اقول لنفسبي : ما لو مات البرت اذن لغدت ولغدوت و هكذا أمعن في ضلالات الوهم الى ان تقودني إلى الهاوية التي اقف امامها مرتجفا وعندما اسير ـ بالخيال ـ مخترقا نفس البوابة ، وعلى نفس الطريق الذي قادني اليه اول مرة ، يغوص قلبي في داخلي لمجرد التفكير في التغير الذي حدث لقد تغير كل شيء ولم تعد مشاعري ولا نبضة من قلبي كما كانت آن احساسي لهو اشبه باحساس امير راحل يعود روحه ليلم بالقصر الفخم الذي ابتناه في ايام سعده ، وزينه بأغلى الزخارف ، وتر كه من بعده لولده الحبيب ، واذا به يلفى مجده وقد ذهب ، ووراءه وقد انطفأ ، وابهامه وقد غدت مهجورة ، وران عليها الخراب حتي جعلها اطلالا اني لأعجز أحيانا عن فهم كيف يتسنى لها أن تحب رجلا اخر ، وكيف تجرؤ أن تحب رجلا اخر ، في حين انني لا احب شيئا في هذه الدنيا مثل هذا الحب التام ، وبمثل هذا الخشوع، مثلما احبها هي وفي حين انني لا اعرف سواها ، ولا املك في الدنيا شيئا غيرهاما أن تتخذ الطبيعة الوان خريفها ، حتى يسود الخريف في داخلي ويحدق بي فأوراقي ذابلة صفراء ، والأشجار المحيطة بي عاطلة م ن اوراقها اتذكر كتابتي اليك عن ذلك الغلام الفلاح بعيد وصولي الى هنا بقليل ؟ لقد سألت عنة اخيرا في قالهايم ، فقيل لي انه طرد من عمله ، وان الجميع يتجنبونه وقد لقيته بالأمس على الطريق ، ذاهبا الى قرية مجاورة وكلمته ، وحدثني بقصته ، نشاقتني للغاية ، وستدرك هذا تمام الإدراك عندما اعيدها عليك ولكن لماذا ازعجك ؟ لماذا لا أحتفظ بجميع احزاني لنفسي ؟ لماذا أواصل اتاحة الفرص لك كي ترني لي و توجه اللوم الي ؟ ولكن لا ضير فهذا ايضا جانبا من قدري في البداية اجاب الفتى الفلاح عن استفساراتي بشيء من الاكتئاب المذعن المتطاعن ، الذي بدا لي آية على

طبع خجول ، ولكن لما ازداد فهم كل منا لصاحبه غدا اقل احتجازا وتحفظا في كلامه ، واعترف صراحة بأخطائه ، وتحسر على سوء طالعه واني لأتمني يا صديقي العزيز لو اوتيت القدرة على التعبير الملائم عن لغة حديثة فقد قال لي ما بشيء من التذكر المحبب اليه ما ان ولعه به بعد رحيلي - بمخدومته أخذ ف ي الازدياد بمرور الأيام ، الى ان فقد الوعي بما يصنع وما يقول ، ولم يعلم بدري ماذا سيصير من أمره ولم يعد قادرا على طعام او شراب او نوم، وصار يحس نوعا من الاختناق ، وجعل يعصي كل امر يصد ر اليه ، وينسى - بغير ارادته - كل تعليماته ، فبدا وكأن روحا شريرا يتعقبه ، الى ان عرف ذات يوم أن مخدومته صعدت الى حجرة علوية ، فتبعها ، او قل أنه وجد نفسه منجذبا على آثارها ولما أصمت أذنيها عن توسلاته ، لجأ الى العنف وهو لا يدري بالضبط ماذا حدث ، بيد انه يشه د السماء أن نيته نحوها كانت شريفة ، وانه ما صبا الى شيء بكل صدق واخلاص سوى الزواج منها ، كي يقضيا حياتهما معا ولما وصل ف ي قصته الى هذا الموضع شرع يتردد ، وكأن لديه شيء مما لا يجد الشجاعة على التفوه به ، إلى أن أعترف بشيء من الارتباك بأنها شجعته على شيء من الاعترافات والا فضاء بمكنون قلبه نحوها ، وبأنها كانت قد سمحت ببعض التجاوزات وتوقف مرتين او ثلاثا في سياق السرد، واكد لي بكل جد انه لم تكن لديه أي رغبة في افسادها أو الإساءة اليها - على حد تعبيره - لانه لم يزل يحبها بكل الإخلاص كذي قبل ، وان هذه القضية لم يتفوه بها فمه قط من قبل ، وانه ما افضى بها الى الان الا كي يقنعني بأنه ليس ضائعا تمام الضياع ولا منبوذا تمام النبذ وهنا يا صديقي العزيز اراني مضطرا أن ابدا الانشودة القديمة التي تعلم اني اردده دائما : آه لو استطعت أن أصور الفتى كما وقف ، وكما يقف الان امامي وآه لو امكنني ان اصور تعبيره الحقيقي ، اذن لرايت الزاما عليك ان تتعاطف معه في قسمته الضيزي

ولكن حسبك - وانت ادرى الناس بنكبتي واتجاهي النفسي - أن تفهم في يسر مقدار الجاذبية التي تستولي علي وتعطفني على كل انسان عاثر الجد ، ولاسيما على ذلك الفتى الذي قصصت عليك قصته الان وعند اعادة تلاوة هذا الخطاب اجدني اغفلت نهاية حكايتي ، ولكن ايرادها من ايسر الأمور لقد غدت المرأة شديدة التحفظ معه ، بتحريض من اخيها الذي كان يكرهه منذ أمد طويل ، ويريد طرده من البيت ، لانه كان يخشى أن يفضي زواج اخته مرة اخرى الى حرمان اطفاله من الثروة الطيبة التي يتوقعونها منها ، لأنه لا ولد لها وفي النهاية فصل م ن الخدمة ، واثارت المسألة فضيحة كبيرة بحيث لم تجسر السيدة على اعادته لخدمتها ، بفرض انها ارادت ذلك وقد استأجرت بعد ذلك خادما اخر ، يقولون ان اخاها غير راض عنه ايضا، ويبدو أنها ستتزوجه ولكن محدثي يؤكد لي انه شخصيا مصمم على الا يعيش بعد وقوع هذه الكارثة وهذه القصة رويتها لك بلا مبالغة ولا تزويق ، بل الواقع اني اضعفتها وشوهتها عند سردها باستخدام التعبيرات التي يسبغها المجتمع فهذا الحب اذن ، وهذا الوفاء ، وهذا الولع ، ليس خيالا شاعربا ، بل هو أمر واقعي ، حدث باو في نصيب من النقاء في تلك الطبقة من البشر التي ننعتها بالغلظة ، والعطل من التربية والتعلم ونزعم اننا نح ن المتعلمون لا الشواذ ولكني أناشدك أن تطالع هذه القصة بانتباه وعناية وانا اشعر اليوم بالهدوء لاني شغلت نفسي بهذا السرد ، ولعلك ترى من خط يدي اني لست مضطربا جدا كالعادة اقراها اذن وأعد قراءتها يا فلهلم ، فهي قصة صديقك وحظي كان وسيكون شبيها بهذا وأنا لست أقل شجاعة وتصميما من ذلك التعس المسكين الذي أتردد في مقارنة نفسي به كتبت شارلوت خطابا الى زوجها في الريف ، حيث عاقته بعض اعماله وقد استهلته بقولها - : يا اعز حبيب ، عد بأسرع ما يمكنك ، فاني انتظرك بألفي نشوة ووصل صديق يحمل نبأ منه بأنه - لأسباب معينة - لا يستطيع

العودة فورا ، ولم يحول خطاب شارلوت الى عنوان زوجها الجديد ، و في نفس الأمسية وقع في يدي ، فطالعته ، وابتسمت وسألتني عن السبب فقلت :ما يا المخيلة من كنز سماوي لقد توهمت للحظة أن هذا الخطاب موجه الي فصمتت ، وبدا عليها الاستياء ولذت انا بالصمت لقد تجشمت كبير عناء كى افارق المعطف الازرق الذي كنت أرتديه اول مر تراقصت فيها شارلوت ولكني لم أعد قادرا على ارتدائه ، ولذا امرت بتفصيل نظير له جديد ، مطابق له تماما ، حتى فيما يتعلق بالياقة والكمين ، كما طلبت تفصيل صدار وسروال جديدين بيد أن هذه الثياب الجديدة ليس لها نفس الأثر في نفسي ، ولست ادري لهذا سببا الا اني آمل أن آلفها بمرور الوقت تغيبت شارلوت بضعة أيام ، اذ توجهت للقاء البرت ، واليوم زرتها، فنهضت لاستقبالي ، وقبلت يدها بحنان شديد وطار عصفور كناري في هذه اللحظة من مرآة هناك واستقر على كتفها فقالت ، وهي تجعله يجثم فوق يدها :

-ها هو صديق جديد ، وهو هدية للاطفال ويا له من عزيز انظر اليه عندما اطعمه يرفرف بجناحيه ، وينقر الطعام بطرف بالغ وهو يقبلني ايضا انظر ورفعت العصفور الى فمها ، فلثم شفتيها الحلو تين بحرارة عظيمة وحماس ، حتى لكأنه يحس مبلغ الهناء الذي ينعم به وارد فت شارارت :

وسوف يقبلك ايضا وعندئذ قربت الطائر مني ، فتحرك منقاره الصغير من فمها الى فمي، واحتست لهذا المس وكأنه ارهاص بأعظم سعادة و قلت لها

- :ان القبلة لا يبدو انها تقنعه ، فهو يريد الطعام ، ويبدو أن هذا التدليل يخيب أمله فقالت : - ولكنه يأكل من فمي ومدت شفتيها نحوه وفيهما بعض البذور ، وابتسمت بكل السحر الذي يشع من الكائن الذي سمح بالمشاركة البريئة في حبه وحولت وجهي مشيحا عن هذا المشهد ، فما كان ينبغي أن تصنع هذا كان ينبغي الا تثير خيالي بمثل هذه الافاعيل التي تفيض سعادة و براءة ، ولا أن توقظ قلبي من سباته الذي يحلم فيه بتفاهة تيمسة الحياة

ولماذا لا ينبغي لها هذا ؟ لأنها تعرفه كم احبها وكم يشقيني يا فلهلم ان يكون في الدنيا أناس عاجزون عن تقديرالأشياء القليلة ذات القيمة الحقيقية في الحياة اتذكر اشجار اللوز في التي تعودت ان اجلس تحتها مع شارلوت ، اثناء زياراتي للقس الفاضل المسن ؟ تلك الأشجار الرائعة التي كان مجرد النظر اليها يملا قلبي في كثير من الأحيان بالحبور ، لكم كانت تزين وتنعش فناء بيت القس بأغصانها المدينة المنفرعة ولكم كان لميعا ان يقترن ذلك بصورة القس بأغصانها الجديدة المتفرعة ولكم كان بديعا ان يقترن ذلك بصورة معلم المدرسة كثيرا ما يذكر اسمه الذي تلقاه عن جده وكان يطيب لنا ان نمجد ذكراه تحت ظلال هذه الاشجار العتيقة وقد ذكر لنا معلم المدرسة بالأمس ، والدموع في عينيه ، أن هذه الاشجار قد قطعت اى والله اسقطت على الارض ولكم كنت خليقا - من فرط حنقي - ان اقتل الوحش الدميم الذي وجه اليها الضربة الأولى ولا مفر لي من تحمل ما حدث انا الذى - لو كانت مثل هذه الأشجار في فنائي لكنت خليقا اذا ما ماتت احداها من فرط الشيخوخة ان ابكي من شدة الاسي ولكن بقي لي شيء من العزاء وهكذا العاطفة أن القرية بأسرها تتذمر من هذه النكبة ، وآمل أن تدرك زوجة القس قريبا من انقطاع هدايا القرويين مبلغ ما اصاب مشاعر اهل الناحية من تأذ لما حدث لهذه الأشجار، فقد كانت هي مرتكبة هذه الفعلة - اعني زوجة القسم الجديد الان شيخنا الطيب قد رحل عن الدنيا - وهي مخلوقة طويلة عليلة تغض النظر عن العالم ونفض العالم ما وبحق مد نظره عنها كل الاعضاء وتتظاهر هذه المخلوقة بأنها متعلمة ، وتزعم انها تراجع الكتب الكنسية ، وتفيض عمونها على موضة» الإصلاحات الحديثة للمسيحية ، وهي مولعة بالخوض في الانتقاد والتشدق بالأخلاقيات وتهز كتفيها ازدراء اذا ما اثار احد موضوع الحماسة على مذهب لا فاتر شاعر سويسري صوفي له مؤلفات في الفلسفة واللاهوت وصحتها محطمة ، لكثرة

ما حرمت نفسها من كل متعة تمت بصلة إلى العالم الدنيوي وما كان سوى هذه المخلوقة خليقا ان يقطع اشجار لوزي الجليلة الجميلة ولن أصفح عن هذه الفعلة والان اسمع مبرراتها : ان الاوراق المتساقطة تجعل الفناء رطبا قذرا ، والأغصان تعترض ضوء الشمس ، والغلمان يرشقون الثمار بالحجارة عندما تنضج ، فيؤثر صوت هذه الجلبة في أعصابها ويعكر عليها صفو تأملاتها ، وهي تزن في رأسها صعوبات كنيكوت عالم التوراة الانجليزي، واضرابه ، مثل سيملر وميخاياليس ولما وجدت كل الأبروشية- ولاسيما المسنين - مستائين، سألتهم لماذا يسمحوا بذلك ، فقالوا لي - : اواه يا سيدي وما حيلة أمثالنا من الفلاحين الفقراء اذا اصدر ناظر الزراعة امره ؟ بيد ان شيئا ما وقع على كل حال ، فناظر الزراعة والقس اللذين خطر لهما أن يحصلا ولو مرة واحدة على بعض الفائدة من نزوات زوجته اعتز ما أن يقسما خشب الأشجار فيما بينهما ، ولكن الادارة المالية للمقاطعة سمعت بالحادث ، فأنارت دعوى قديمة بملكية الأرض التي كانت فيها الأشجار ، و قررت بيع الاخشاب لمن يدفع فيها اكبر ثمن وهكذا لم تزل الأشجار ملقاة على الأرض ولو كنت أنا العاهل العرفت كيف أتعامل معهم جميعا : القس ، وناظر الزراعة ، والادارة المالية اقول لو كنت العاهل ؟ اني لخليق عندئذ ان اعير شيئا من اهتمامي للأشجار التي تنمو في الريف

مجرد النظر الى عينيها السوداوين يملؤني بالسعادة وما يحزنني أن البرت لا يبدو سعيدا بالقدر الذي كان يتمناه وبقدر ما كنت خليقا ان اكون لو انني لست احب هذا التلعثم - ولكنني لا استطيع ان اعبر عما بنفسي على غير هذا المنوال ، ولعلني قد ابنت عن خاطري بما فيه الكفاية

لقد حل اوسيان في قلبي محل هوميروس وأي عالم هذا الذي يحملني اليه هذا الشاعر الصداح الى حيث أجوب براري لا تشقهسا دروب ، تحف بها دوامات رياح مندفعة ، حيث نرى على ضوء القمر الواهن ارواح اسلافنا ،

ونصفي من أعالي قمم الجبال ، وسط هدير الشلالات المنحدرة منها ، الى أصواتهم الشاكية صادرة من الكهوف والمغاور العميقة ، والى التأوهات المولهة الحسرى لفتاة تجود بنفسها فوق قبر كسته الاعشاب والطحالب يثوي فيه محارب كان يعبدها حبا والتقى في تلك المجاهل بذلك الشاعر الصداح ذي الشهر الفضي ، يرتاد الوهاد والوديان ، باحثا عن آثار اقدام آبائه ، ولكن واحر قلباه انه لا يعثر الا على أرماس قبورهم ثم يتأمل البطل ضوء القمر الشاحب وهو يغرب غائصا في امواج البحر الطامي ، فتنبثق في ذهنه ذكريات الايام الخوالي ذكريات تلك الأيام التي كانت مخاطرها تقوي من بأس الشجعان ، وتشد من ازرهم ، وكان ضوء القمر حينئذ يسطع على سفينة محملة بالأسلاب ، عائدة تهز رايات النصر والفخار وعندما اقرا ف ي أساريره الأسى العميق ، وارى مجده الغارب ينزل متهالكا الى القبر ، وهو بسستنشق بهجة جديدة تهز القلب لا شك اتحاده بمحبوبته ، فيلقي نظرة على الأرض الباردة ، وعلى العشب الطويل الذي سرعان ما يغطيه ، وعندئذ يهتفا -سيأتي ذلك الرحالة سيأتي ذلك الذي راى من قبل جمالي ولسوف يسأل : اين الشاعر الصادح اين سليل فنجال المجيد ؟ ولسوف يسير فوق قبري ، وعبثا يبحث عني وحينئذ - يا صديقي - اكاد امتشق من فوري - شأن الفارس الصادق النبيل - حسامي ، الأخلص من براثن الموت أميري هذا ، وأطلق عندئذ روحي لتتبع خطا ذلك الشبيه بالالهة الذي حررته بيدي وا حسرتاه يا للخواء س يا للخواء المخيفه الذي أحسه في صدري لكم يخطر لي احيانا ، ليته يتاح لي مرة واحدة فحسب ان اضمها الى فؤادي ، اذن لكان هذا الخواء المقيت المخيف خليقا أن يمتلىءاجل با فلهلم ، اني اشعر عن يقين ، ويزداد يقيني هذا يوما بعد يوم ، آن وجود أي كائن ليس له الا القليل جدا من القيمة وقد وصلت الان صديقة لزيارة شارلوت، فانسحبت الى الجناح المجاور ، وتناولت كتابا ، ولما الفيت نفسي غير قادر على

القراءة جلست لاكتب وقد سمعتهما تتحدثان بصوت خفيض ، في أمور شتى لا اهمية لها ، وتتبادلان اخبار المدينة فهذه على وشك الزواج ، وتلك مريضة ، مريضة جدا - ينتابها سعال جاف، ووجهها يزداد في كل يوم نحولا، وتصيبها في بعض الاحايين نوبات وقالت شارلوت : من مريض جدا ايضا وردت عليها الأخرى قائلة : لقد بدات اطرافه في التورم فملا وعلى الفور خفت بي اجنحة خيالي الى مخادع المرضى ، وهأنذا أراهم مكافحون الموت ، بكل العذاب والالم والفزع وهاتان المراتان - يا فلهلم - تتحدثان في هذا كله بعدم الاكتراث الذي يذكر به احدنا وفاة شخص غريب عنه وحينما انظر حولي في الحجرة التي انا بها الان واري معدات شارلوت ملقاة امامي ، وكتابات البرت ، وكل تلك القطع من الاثارات المألوفة لي ، حتى تلك المحبرة التي استخدمها الان ، وأتذكر من انا في تلك الأسرة انني لديهم كل شيء ، فصديقاي هذان يقدر اني ، وكثيرا ما أسهم في سعادتهما ، ويخيل الي ان قلبي لا يستطيع أن يخفق بدونهما ومع هذا - اذا كتب علي أو قدر لي أن أموت ، واخرج من وسط الدائرة - هل تراهما يشمران - واذا شعرا فالى أي مدى ولايتى مدة من الزمن يدوم شعورهما بالفراغ الذي تركه فقدي في حياتهما ؟ كم ترى يطول هذا اجل هذا هو هوان قدر الانسان ، انه حيث يشعر بوجوده اقوى شعور ، وحيث له اقوى وافعل الأثر ، حتى في ذاكرة محبوبته وفي قلبها هنا ايضا لا مفر له من الزوال والتلاش ي والتلاشي السريع اني لخليق أن أمزق صدري غيظا كلما فكرت في ضالة قدرة كل منا على التأثير في مشاعر الاخر فما من احد يستطيع أن يوصل الى مشاعر الحب والفرح والنشوة والحبور التي لا أمتلكها بطبيعتي ومع ان قلبي قد يتوهج بأقوى أحاسيس المودة والاعزاز الا انني لن استطيع ان أسعد امرءا لا نصيب له بفطرته من عين هذه المشاعر الحارة

لدي الكثير جدا ، ولكن حبي اياها يستوعب ذلك كله ، لدي الكثير جدا ، ولكنني بدونها ليست املك شيئا لقد أوشكت مائة مرة أن أقدم على عناتها يا للسماء أي عذاب لي أن أرى بعيني راسي كل هذه الملاحة تمر بنا ، ثم تعاود المرور مرارا وتكرارا ثم لا تجسر على الإمساك بها ؛ والإمساك بالاشياء غريزة طبيعية في البشر فلا يلمس الأطفال كل ما يرونه بأعينهم ؟ وانا اشهدي يا سماء كم من مرة رقدت في فراشي وبي رغبة ، ب ل و بحده وني الأمل ألا استفظ من رقادي ذالك ابدا وفي الصباح ، عندما افتح عيني ، وأرى الشمس مرة أخرى ، أشعر بالتعاسة ولو كنت امرءا تي النزوات غريب الأطوار لكنت حريا أن القي باللوم على كاهل القس او على بعض من أعرف ، او على خيبة أمل شخصيته ، واعد ذلك مسئولا عن سخطي ، وبذلك لا يقع هذا العبء الباهظ - عباء متاعبي واضطرابي - على عاتقي شخصيا ولكن وا أسفاه إني لأشعر بكل حزن - انتي وحدي مصدر جميع احزاني وأشجاني ، كما كانت نفسي من قبل مصد جميع مسراتي وافراحي فأنا عدو نفسي الحقيقي الست انا عين ذلك المرء الذي استمتع يوما ما بالسعادة المفرطة ، فكان يرى في كل خطوة وكان الفردوس قد فتح أبوابه له ، فكان قلبه يتفتح دوامسا للعالم اجمع ؟ وهذا القلب بعينه قد مات الان ، وما من احساس يمكن أن يبعثه من مواته عيناي جامدتان ، وحواسي لم تعد ترويها دموعي الناس به ، وكذلك ايضا اخذ مخي يذوي ويتآكل ما أشد ما أعاني لانني فقدت سحر حياتي الأوحد ، فتلك القوة الفعالة الناشلة القديدية التي كانت تخلق العالم من حولي ، لم يعد لها وجود وعندما أطل من نافذتي الى التلال النائية ، وارى شمس الصباح تشق طريقها وسط أستار الضباب ، وتضيء الريف من حولي ، ذلك الريف الذي لم يزل متشحا بالصمت والسكينة ، في حين يتدفق الجدول الرقراق بلطف بين اشجار الصفصاف التي نفضت أوراقها ، وعندما تعرفي الطبيعة حفل روائها

وزينتها امام انظاري ، وتعجز هذه الروائع عن ابتعاث دمعة سرور واحدة من قلبي الذابل ، عندئذ اشعر انني اقف امام السماء وقفة الرافض الشرير الجامد ، جامد الحس والفؤاد ، لا تحرلك مني هذه الأمجاد ساكنا وما أكثر ما أجثو حينئذ راكعا على الأرض ، وابتهل الى الله اسأله نعمة الدموع، على نحو ما يبتهل الزارع المنكود في زمن الفحط والجفاف أن تتحنن عليه السماء بالأنداء التي تنقع غلة قمحة المهدد بالفناء عطشاولكنني أشعر أن الله لا يفيض ضوء شمسه ولا وابل مطر استجابة الابتهالاتنا : واها لتلك الأيام الخوالي التي تعذبني ذكرياتها الان لم اذا كانت تلك الايام بكل هذه المذوبة والهناء كى ذالك اني حينئذ كنت انتظر بصبر على هداها بركات الله الأبدية ونعماءه ، وكنت أتلقى عطاياه بأعظم مشاعر العرفان التي يفيض بها قلب شكور أنبتني شارلوت على تطر في ، ولكنه كان تأنيبا حافلا بالرقة والطيبة فقد دأبت في المدة الأخيرة على شرب الخمر أكثر من ذي قبلفقالت لي :

-اياك وهذا الاكثار فكر في شارلوت فأجبتها - : أفكر فيك ؟ أبحاجة انت الى ان توصيني بهذا ؟ أفكر فيك حقا أنا لا أفكر فيك ، لانك دائما وابدا ماثلة أمام روحي ؟ وفي هذا الصباح بالذات جلست على البقمة التي نزلت فيها - منذ بضعة ايام - م امرية ، و ١٠٠ وعلى الفور غيرت الموضوع لتمنعني من المضي فيه اكثر من هذا ان جميع طاقاتي يا صديقي العزيز منهكة ، وفي وسعها أن تصنع بى ما تشاءاشكرك يا فلهلم على تعاطفك القلبي ، ونصحك الممتاز ، واناشد ك الهدوء ، ودعني لعذابي فلم تزل لدي -- برغم تعاستي - قدرة كافية على التحمل وأنا أوقر الدين واجله ، وانت تعرف هذا واعرف ان الدين قادر على منح القوة للضعفاء ، واراحة المنكوبين بالأرزاء ، ولكن هل للدين اثر متساو لدى الجميع بلا استثناء ؟ فكر في هذا الكون المترامي ، وسترى الألو في ممن لم يكن التأثير الدين عندهم وجود قط ، سواء بشروا به او لم يبشروا، فهل من الحتم اذن ان

يكون له عندي أثر أو ليس المسيح نفسه هو القائل انه انما يؤمن به من اعتلاهم الأب له فحسب ؟ فهل انا ممن اعملوا له ؟ ماذا لو احتفظ بى الأب ه ، كما يوح الي بذلك قلبي احيانا ؟ وار جوك الا تسيء تأويل قولي هذا ، ولا تستخرج من كلماتي البريئة ما يدل على الزراية بالدين ، فأنا اسكب بين يديك روحي بأسرها ولقد كان الصمت احب الي ، ولكني لست بحاجة الى التراجع امام موضوع لا يعرف عنا، الا القليلون اكثر مما اعرف شخصيا ما مصير الإنسان وما قدره ، اللهم الا ان يملأ كأس عذابه ومعاناته ، وأن يتجرع ما قدر له من المرارة ؟ واذا كانت هذه الكأس نفسها قد بدت مريرة للمسيح وهو في صورة البشر ، فلماذا انكلف كبرياء حمقاء وانعت هذه الكأس بالعذوبة ؟ لماذا ينبغي ان اخزي من التراجع عند حظة الرهيبة عندما ترتجف روحي بين الوجود والعدم ، وعندما نخسيء ذكرى الماضي ، كوميض البرق هاويه المستقبل المظلمة ، فاذا بكل شيء ينحل من حولي ، واذا العالم كله يتلاشي ؟ اليس هذا هو صوت مخلوق تجاوز ضيقه وعناؤه كل حد، وخذلته ذاته ، حتى بات على وشك الوثوب ليغوص في لجة الفناء الذي لا مناص منه ، وهو ينادي متأوها من اعماقه ومتحرا على قوته المتداعية - : الهي الهي لماذا تخليت عني ؟ وهل ينبغي ان اشعر بالخزي وأنا أتفوه بهذه العبارات نفسها ؟ اينبغى الي الا ارتجف أمام مسير كانت له رهبته ومخاوفه حتى بالنسبة للمسيح ؟ عاما أنها لا تحس ولا تعلم أنها تعد سجنا سو في يدمرنا كلينا وانا اشرب با فراط من الجرعة التي سيكون فيها هاكي واي معني لهذه النظرات الفائدة بالرقة والحنان التي كثيرا كثيرا ؟ كلا ليس كثيرا ، ب ل احيانا - ما ترتدي بها ، ولهذا الرضا الذي تصدغي به للعواطف اللا ارادية الني كثيرا ما تند عنى ولشفقة الحانية التي تظهر على محياها لما اعانبه من عذاري ؟ بالأمس ، عندما هممت بالانصراف ، أمسكت بيدي وقالت : وداعا يا عزيزي فيرتر عزيزي فير تر لقد كانت

هذه اول مرة نادتني فيها بيا عزيزي ، ففات الصوت في اعماق فؤادي وكررته مائة مرة ، وفي الليلة الماضية ، وأنا ذاهب الى فراشي ، تحدثت إلى نفسي في امور شتى ، ثم قلت نجاة - : طابت ليلتك يا عزيزي فيرتر ولم يسعني عندئذ الا ان اضحك من نفسي لا يمكنني أن أدعو الله أن يتركها لي ، وهي التي تبدو في كثير من الأحيان منتمية الي ولا يمكنني أن أدعو الله - : اعطنيها لانها امرأة اخر وبهذا الأسلوب أغلب المرح على متاعبي ولو كان عندي متسع من الوقت لكتبت اليك سلسلة ابتهالات على منوال هسله النقائض انها على احساس بعذابي وهذا الصباح اخترقت نظرتها صميم روحي فقد وجدتها بمفردها وكانت صامتة ، وراحت تتفحصني بصورة مباشرة، ولم اعد اري في محياها مفاتن الجمال ولا ن سار العبقرية فكل ذلك كان قد اختفى بيد أني تأثرت لديها بسيما أمعن تأثيرا في النفس : بنظرة تدل على أعمق التعاطف وارق الرحمة فلماذا خفت ان القي بنفسي عند قدميها ؟ لماذا لم أجسر على احتضانها بين ذراعي ، لأجيبها بالفي قبلة ؟ ولجأت الى البيانو كي تخفف عما بها ، وبصوت خفيض عذب راحت تصاحب الموسيقي بانغام مستحبة ، ولم أر في حياتي شفتيها بهذه الحلاوة : فهما لا تكادان تنفرجان الا بما يسمح بالتغريد الذي يتلقى اهتزازات المعزنا ، وليرجعها من فمها من لي بالتعبير عن مشاعري عندئذ لقد غلبت على امري ، وانحنيت فهمست اليها بهذا النذر - : ايتها الشفتان الجميلتان اللتان تحرسهما الملائكة ، لن أحاول تدنيس نقاتكما بقبلة ومع هذا يا صديقي كم أتمنى - وان كان قلبي معتما بالشك والتردد - لو استطعت ان اذوق هذا الهناء ، ثم اموت بعدها تكفيرا عن انمي ولكن اي اثم ؟ كثيرا جدا ما اقول لنفسي - : انت وحدك التعس ، أما سائر ابناء الفناء فسعداء ، وما من احد فيهم مني بمثل كربي وضائقتي وعندئذ اقرا نصا من شاعر قديم ، ويخيل الي اني فهمت قلبي الا ما أكثر ما ينبغي لي أن أتحمله فهل كان البشر قبلي

بمثل هذه التعاسة ابدا ؟ لن أعود سيرتي الاولى ابدا فأينما توجهت حدث ما يشتنني بفعل القدر فاليوم - واها لقدرنا ومصيرنا واها للطبيعة البشرية قبيل وقت الفداء ذهبت لأتمشي على شاطىء النهر ، لانني لم اجد اي شهية للطعام وبدا كل ما حولي واجما ، وهبت ريح شرقية باردة رطبة قادمة من الجبال ، وانتشرت فوق السهل سحب بقبلة سوداء ولمحت عن بعد رجلا في معطف رث بالي ، كان يتجول بين الصخور ويبدو أنه كان يفتش عن نباتات فلما اقتربت منه التفت الى مصدر الصوت ، فرايت له سحنة تثير الاهتمام ، ترين عليها الكآبة ، تخالطها طيبة بادية وكان ذلك أهم ما يميز سيماه وكان شعره الاسود الطويل مقسوما من الوسط ، ويتهدل على كتفيه ولما كان زبه يدل على رجل من الطبقة الدنيا ، فقد ظننت أنه لن يستاء أن سألته عما يصنع ، وعندئذ سألته عم يبحث فأجابني بزفرة عميقة انه يبحث عن الأزهار ، ولكنه لا يجد منها شيئا ، فقلت له باسما - : ولكن هذا ليس أوانها فأجابني وهو يدنو مني - : بل هنالك الكثير منها جدا ، ففي حديقتي ورد وازهار على نوعين : احداهما أعطانيه ابي ، وتنمو بكثرة وغزارة كالاعشاب ولي دومان ابحث عن هذين النوعين ، ولا اجدهما وها هناك في حديقتي ازهار صفراء وزرقاء وحمراء ، وهناك ايضا ازهار اخرى بديعة جدا ، ولكني لا أجد شيئا منها هنا فلاحظت غرابة أطواره ، ولذا سألته بلهجة تدل على عدم الاكتراث ما الذي ينوي ان يصنع بأزهاره، فاكتسى محياه ابتسامة غريبة ، ورفع اصبعه الى فمه ، تعبيرا عن أمله في الا افشي سره ، ثم اخبرني انه وعد حبيبته أن يجمع لها باقة زهر صفيرة فقلت له - : عظيم جدا فأجابني - : اوه انها تمتلك اشياء اخرى كثيرة ايضا ، فهي ثرية جدا - ومع هذا فهي تحب باقاتك الصغيرة فهتف - : اوه كم لديها من جواهر وتيجان فسألته من هي فقال - : آه لو نقدني مجلس طبقات الأمة راتبي اذن لغدوت انسانا اخر وا أسفاه لقد غبر على وقت كنت فيه

سعيدا جدا ، ولكن هذا الوقت مضى وانقضى ، وأنا الآن ورفع عينيه الرجراجتين الى السماء وسألته - : اكنت سعيدا يوما ما ؟ فأجابني - : لكم اتمنى لو ظللت هكذا حتى الأن فقد كنت يومئذ أشد خلق الله رضا وحبورا وعندئذ ساحت امرأة عجوز كانت قادته نحونا - : هنري هنري اين انت ؟ لقد كنا نبحث عنك في كل مكان تعالى للغداء فسألتها وانا اتوجه اليها - : أهو ابنك ؟ فقالت - : نعم انه ابني المسكين العاثر الحظ لقد أنزل الله بي نكبة كبرى فسألتها : اله زمن طويل هكذا ، فأجابتني - : لقد اصبح بالهدوء الذي تراه به الان منذ ستة شهور ، واشكر السماء لانه شفي الى هذا الحد، فقد ظل سنة بأكملها يهدي ، مكبلا بالقيود في مارستان اما الان فهو لا يؤذي احدا بيد أنه لا يتكلم الا عن الملكات والملوك وكان قبل ذلك فتى طيبا جدا وهادئا ، يعينني على نفقات الحياة كان كاتبا جميل الخط جدا ، ولكنه على حين غرة أصيبه بالاكتئاب والمت به حمى شديدة الوطأة ، فتشتت ذهنه ، وصار على ما تراه الان آه لو قلت لك يا سيدي ... نقاطعتها وسألتها عن الحقيقة التي كان يتباهي بأنه كان سعيدا جدا فيها ، فصاحت وهي تبتسم في اشفاق - : يا للفتى المسكين انه يعني ذلك الوقت الذي كان فيه مختلط العقل تماما ، وهو لم يكف عن التحسر على تلك الحقبة ، حينما كان في المارستان ، فاقد الوعي والرشد بكل شيء وصعقت لهذه الاجابة ، ووضعت في كفها قطعة نقد، وأسرعت بالابتعاد و في طريقي مسرعا الى المدينة رحت اقول لنفسي : سس لقد كنت سعيدا كأشد ما يكون البشر رضا وحبورا يا اله السماء أهذا هو قدر الإنسان ؟ الا يكون سعيدا الا قبل اكتسابه العقل او بعد فقدانه ؟ يا للمخلوق الاثر الجد ومع هذا اجدني اغبطك على مصيره، وأغبط الوهم الذي انت فريسته فأنت تذهب جتلانا كى تجمع الأزهار الأمير تاك في الشتاء ، وتحزن عندما لا تجد منها شيئا ، ويعجزك أن تفهم لماذا لا تنمو الأزهار في الشتاء أما أنا فأتجول هنالك بلا

حبور ، وبلا أمل ، وبلا غاية ، وأعود كما ذهبت وتتوهم أي رجل انت خليق أن تغدو لو آن مجلس طبقات الأمة نقدلك راتبك يا لك من امرىء سعيد يستطيع أن يعزو شقاءه السي سببا دنيوي ؛ فأنت لا تدري ، ولا تشعر أن شقاءلة نابع من قلبك المشتت الخبولي وعقلك المختل ، وانه ما من قوة من قوى الأرض يمكن أن تبرئك منه الا فليمت محروما من كل عزاء ذلك المرء الذي يسكن ان يسخر و بهزا من المرضى الذين ينزحون الى ينابيع الصحة النائية ، حيث لا يجدون في الغالب الا مرضا اثقل وطأة وموتا اشد ايلاما ، أو الذي يمكن أن يتهلل سخرية من ضمير الآثم القائظ الذي يلتمس الراحة من تعاسته فيذهبا حاجة الى القبر المقدس ، مع أن كل خطوة يخطوها بقدميه الجريحتين فوق الدروب الوعرة غير المطروقة تسكب البلسم في روحه المضطربة ، كما أن مشاق الرحلة في النهار تجلب لقلبه المعني راحة فيهدأة الليل انجسترون ايها المنددون العيابون على تسمية هذا كله حماسة جوفاء ؟ حماسة يا الهي انت ترى دموعي وأنت قد قسمت لنا نصيبنا من التعاسة : أفهل كتب علينا ايضا ان يضطهدنا اخوتنا ، ويحرمونا من العزاء، و من ثقتنا بك ومن محبتك ورحمتك ؟ لان ثقتنا بفعل المشب الشافي او بتأثير الكرمة ان هو الا الاعتقاد بك ، يا من يستمد منك كل ما حولنا قواه الشاقية والمقوية ايها الأب الذي لست أعرفه - يا من تكرمت فملأت قلبي وقتا ما ، ولكنك الان تخفي وجهك عني - ادعني اليك مرة اخرى ، ولا تعتصم بالصمت ان صمتك لن يسوق روحا تتعطش اليك ف أي اب يمكن ان يغضب من ابنه لانه استدار اليه فجاة ، وسقط على عنقه ، هاتفا - : هأنذا قد عدت اليك يا ابي اصفع عني ان كنت قد تعجلت الرحلة اليك ، ورجعت قبل الموعد المضروب أن العالم هو بعينه في كل مكان مسرح هو للالم واللذة والجزاء ، ولكن ما حصاد هذا كله ؟ اني لست سعيدا الا حيث تكون انت ، وفي حضرتك وحدك يرضيني أن أعاني أو

افرح وانت ايها الاب السماوي حقيق أن تطرد مثل هذا الابن من حضرتك ؟ ان الرجل الذي كتبت اليك عنه يا فلهلم - ذلك الرجل المضبوط على نكباته - كان سكرتيرا فيما مضى لوالد شارلوت ، وكان هواه التعس لها ، الذي كان يخفيه ، ثم أماط اللثام عنه في النهاية ، هو الذي تسبب في طرده من عمله ، فادي به ذلك الى الجنون فكر - وانت تقرا بامعان هذه الحكاية الساذجة سے اى انطباع تركته في نفسي ولكن القصسسة بحذافيرها رواها لي البرت بكل الهدوء الذي لعلك تقراها به لقد انتهى أمري ، ولم أعد أطيق هذا الحال اكثر من هذا لقد كنت جاليسا اليوم مع شارلوت ، وهي تعزف على البيانو مقطوعات بديعة ، بتعبير عميق جدا ، وكانت اختها الصغيرة تلبس دميتها ثوبها وهي جالسة في حجري ، وطفرت الدموع الى عيني ، وانحنيت الى الامام ونظرت الى خاتم زواجها ، فتساقطت عبراتي، وعلى الفور شرعت تعزف تلك المقطوعة الاثيرة القدسية التي كثيرا ما سحرتني وشعرت بالراحة لتذكر الماضي، في تلك الأيام الخوالي عندما كانت هذه المقطوعة مألوفة لي ، وعندئذ تذكرت كل الأحزان والاحباطات التي تحملتها من ذلك الحين ورحت أذرع الحجرة بخطوات سريعة ، وغص قلبي بمشاعر اليمة واخيرا ذهبت اليها ، وهتفت بها في لهفة : بحق السماء ، لاتعزفي هذه المقطوعة بعد الآن فتوقفت ، ونظرت الي نظرة ثابتة ، ثم قالت بابتسامة غاصت أعماق قلبي : - امريض انت با فيرتر فاني ارى احب طعامك اليك قد بغيضا فأرجوك أن تذهب ، ليهدا جأشك فانتزعت نفسي من مجلسها انتزاعا وانصرفت انت مطلع يا الهي على عذابي ، فاجعل له نهاية صار لكم يراودني طيفها فهي ملء روحي كلها يقظانا ونائما فما أن أغلق عيني حتى أجد عينيها السوداوين مطبوعتين ها هنا في مخي حيث تتركز اعصاب البصر ، ها هنا ، ولست أدري كيف اصفها ، وكل ما اعرفه انني متى اغمضت عيني وجدتهما مرتسمتين امامي ،

داكنتين كالهاوية ، مفتوحتين ، تبتلعان كل حواسي وما الانسان سب ذلك الشبيه بالاله ؟ افلا تخذله قواه حين يكون احوج ما يكون اليها ؟ وسواء احلق في الحبور ، او غرق في الأحزان ، اترى له من قدره مفر ؟ وبينما يحلم أنه قابض على الأبدية ، أفلا يشعر باضطراره للعودة الى الوعي بوجوده البارد الرتيب ؟ كان من عادة والد شارلوت - الذي يلازم البيت لاعتلال صحته - ان يرسل اليها عربته كي تقوم بنزهات في الانحاء المجاورة، وذات يوم كان الطقس بالغ العنف ، فغطى الثلج الريف بأكمله ، وتوجه فيرتر لزيارة شارلوت في الصباح التالي كي يعود بها الى البيت اذا كان البرت متغيبا ولم يكن الطقس الجميل يترك لديه الا اثرا ضئيلا بسبب اضطرابه النفسي، فثمة عباء ثقيل الوطأة برين على روحه ، بعد أن هيمنت الكآبة عليه ، فلم تعد نفسه تمر في التغير الا من خاطر اليم الى خاطر اليم اخر ولما كان قد صار منقطع الصلة بالسلام الداخلي ، لذا غدت احوال الناس مصدرا مستمرا للاضطراب والكرب وكان يعتقد انه كدر صفو سعادة البرت وزوجته وفي حين راح يلوم نفسه بعنف على هذه الجريرة ، شرع ايضا يكن في سريرته بغضا خفيا لألبرت وكانت افكاره تتجه أحيانا إلى هذه النقطة ، فيكرر لنفسه في سخط لا يحسن كتمانه - : نعم ، نعم هذا بعد كل شيء هو مدى ذلك الحب الحنون الغالي العطوف المتعاطف ، وذلك الوفاء الهاديء الأبدي ما هذا الذي اشهده ان لم يكن هو الشبع وعدم الاكتراث ؟ اليس كل ارتباط تافه القيمة اشد اجتذابا له من زوجته الفاتنة الحسناء ؟ أتراه يعرف قيمة سعادته ؟ أيفليها بالقدر الذي تستحقه ؟ انه يملكها ، هذا صحيح وانا اعرف هذا ، مثلما اعرف ما هو أكثر منه بكثير وقد تعودت التفكير في انه سيدفع بي إلى الجنون ، أو لعله مزمع أن يقتلني فهل صداقته لي سليمة لا آفة فيها ؟ اليس يرى في تعلقي وارتباطي بشار اوت افتئاتا على حقوقه ؟ لا يعد اهتمامي لها توبيخا صامتا له ؟ أنا أعرف، وأحس فعلا ، انه يبغضني

وانه يتمني غيابي ، وان حضوري بغيض الى نفسه وكثيرا ما كان يتوقف وهو في طريقه إلى زيارة شارلوت ، ويلبث ساكنا في موضعه نهبا للشك ، وتبدو عليه الرغبة في العودة ، بيد أنه مع هذا يمضي في طريقه اليها ويصل في النهاية إلى مقر الصيد غارقا في هذه الخواطر والمناجاة التي وصفناها الان ، موزع النفس وذات مرة دخل البيت ، وسأل عن شارلوت ، فلاحظ أن أهل الدار كانوا في حالة ارتباك غير مألوفه و قال له الولد أن كارثة فظيعة و قمت في فالهايم فقد قتل أحد الفلاحين بيد ان ذلك لم يترك في نفسه الا انرا ضئيلا ودخل الحجرة فوجد شارلون مشتجرة في جدل مع ابيها الذي اصر - رغم علته - على الذهاب الى مسرح الجريمة كي يجري التحقيق وكان المجرم مجهولا، وقد عثروا على الضحية ميتا على باب مسكنه هذا الصباح وثارت الشكوك ، فالقتيل كان في خدمة ارملة ، والشخص الذي سبقه في شغل هذا العمل كان قد فصل منه وما أن سمع فيرتر هذا النبأ حتى صاح باهتياج : أهذا ممكن ؟ لا بد أن أذهب الى موضع الحادث ، لا استطيع الأبطاء لحظة واحدة واسرع فعلا الى فالهايم ، وانتعشت في ذاكرته جميع التفصيلات ، ولم يخالجه شك في أن يكون القاتل هو بعينه ذلك الرجل الذي كثيرا ما تحدث اليه ، وكان يهتم به اهتماما عظيما ويقدره كثيرا ومر في طريقه أشجار الزيزفون المعروفة ، متجها الى البيت الذي حملت اليه الجنة ، فثارت مشاعره عندما وقع بصره على البقعة الاثيرة لديه وكانت العتبة التي كثيرا ما لعب اطفال الجيران فوقها ملطخة بالدم فقد انقلب الحب والوله وانبل مشاعر الطبيعة البشرية إلى العنف والقتل وها ه ي الأشجار الضخمة مائلة هناك ، بلا اوراق ، يكسوها الثلج ، وقد ذبلت نباتات السور المحيط بفناء الكنيسة وكانت شواهد القبور ظاهرة من بين فتحات السور ، وقد تناثر عليها الثلج وكاد يغطيها ولما اقترب من الخان الذي كانت القرية كلها قد تجمعت امامه سمعت فجأة أصوات صياح

وكانت فصيلة من الفلاحين المسلحين قد شوهدت تقترب من هناك، وكل واحد منهم يصيح ان المجرم قد قبض عليه ، والقي فيرتر بصره وزايله كل شك ، فلم يكن الرجل سوى ذلك الخادم ، الذي كان فيما مضى شديد التعلق بالارملة والذي كان قد التقى به في تجواله معذبا بذلك الفضب المكبوت واليأس المخامر ، على النحو الذي أوردناه آنفا وسأله فيرتر وهو يدنو منه :

-ما هذا الذي صنعت ايها التعس ؟ فتوجه الرجل نحوه بنظراته في صمت ، ثم اجاب بهدوء شديد - : لن يتزوجها الان احد ، ولن تتزوج هي احدا وأدخلوا الجاني بعد ذلك الى الخان ، وغادر فيرتر المكان وكانت نفس فير تر قد استثيرت واهتاجت لهذا الحادث الفظيع بيد انه لم يعد يحس ما يكربه عادة من الشعور بالكآبة وعدم الاكتراث بكل ما يدور حوله وانتابه احساس قوي بالرثاء والرحمة لهذا الرجل ، واستولي عليه هم و قلق لا يوصف تلهفا على انقاذه من المصير الذي يوشك أن يحيق به فقد كان يعده انسانا تكالب عليه سوء الطالع والشقاء ، فهو في نظره معذور فيما اقترف من جرم بل كان يرى حالته شديدة الشبه بحالة هذا المتهم ولذا استولى عليه اقتناع بأن في وسعه أن يجعل كل انسان اخر يرى هذه المسألة في نفس الضوء الذي يراها فيه شخصيا واصبح شديد التلهف على تولي الدفاع عنه ، وشرع يدبج خطبة بليغة لهذا الغرض ، وفي طريقه إلى مقر الصيد لم يستطع كبح نفسه عن التحدث بصوت مرتفع بنص الكلمة التي قرر ان يدلي بها إلى القاضي وعند وصوله الى بيت الصيد الفني البرت قد سبقه الى هناك ، فارتج عليه قليلا بسبب هذا اللقاء ، بيد أنه سرعان ما سيطر على رباطة جأشه وأدلى الى القاضي برأيه في حرارة بالغة وراح القاضي يهز راس ه متشككا ، ومع ان فيرتر دافع عن اعتقاده بمنتهى البراعة و بكل الهم ة والحماسة والتصميم على استنقاذ المتهم ، الا أن القاضي - كما ه و متوقع - لم يتأثر كثيرا بهذه المناشدة ، بل على العكس قاطعه وهو مندفع في خطابه ، وجادله

بجد ، بل رأى من واجبه أن يقرعة لتطوعه بالدفاع عن قاتل، وقال له انه تأسيسا على هذه السابقة يتعرض كل قانون الانتهاء وفي هذا ما فيه من تخريب الأمن العام والقضاء عليه قضاء مبرما وقال له ايضا ، أنه فضلا عن هذا كله لن يستطيع شخصيا عمل شيء في مثل هذه القضية من غير أن يعرض نفسه لأعظم المسئولية ، وان كل شيء ينبغي ان يتخذ المسار المألوفه ، ويمضي على النهج المعهود ولكن فيرتر لم يقلع عن محاولته ، بل وعرض على القاضي أن يستر على فرار السجين ، الا ان هذا الاقتراح لقي الرفض البات على الفور وكان البرت قد اشترك في جانب من المناقشة ، واتفق في الرأي م ع القاضي ، وعندئذ هاج غضب فيرتر ، وانصرفي وهو في حالة ثسسورة شديدة، بعد أن أكد له القاضي اكثر من مرة أنه لا سبيل إلى انقاذ المتهم ويمكننا استخلاص مبلغ حزنه الشديد عند سماع هذا التأكيد من نص مذكرة وجدت بين اوراقه ، ولا شك في أنها كتبت في تلك المناسبة - :لن يمكن انقاذك ايها التعس العائر الجد واني لأرى الأن بوضوح انه لا سبيل إلى خلاصنا وكانت ملاحظات البرت التي أبداها للقاضي بشأن موضوع المتهم قد حفزت مشاعر فيرتر حفزا شديدا ، وخيل اليه أنه استطاع أن يتسقط في هذه الملاحظات شيئا من المرارة ازاءه شخصيا ومع انه اذا ما اعمل فكره في روية ما كان ليغيب عن حكمه الصائب ان وجهسسة نظر البرت والقاضي كانت سليمة ، الا انه وجد مضاضة شديدة جدا في الاقرار بشيء من ذلك وقد وجدت بين اوراق فيرتر مذكرة في هذا الصدد ، تعبر عن مشاعره بصفة عامة تجاه البرت - : وما جدوى تكراري باستمرار انه رجل طيب وجدير بالتقدير ، أنه عذاب داخلي لي ، وانا عاجز عن ان اكون منصفا بخصوصه وذات مساء من أمسيات الشتاء ، وقد بدا أن الجو ميال للدفء ، كانت شارلوت والبرت عائدين الى بيتهما معا ، وظلت شارلوت تتلفت فيما حولها بين الحين والحين ، وكأنها تفتقد صحبة فيرتر

وشرع البرت في الحديث عنه ، وانحي باللائمة على تحيزاته والع الى تعلقه العاثر الجد بها ، وتمني لو كان في الإمكان فصم صفة التعارف بينهما ، وبينه ، وأردف - : اتمني هذا لمصلحتنا، واناشدك ان ترغميه على تغيير سلو كه نحوى، وان يقلل من زياراته لك فالناس نقادون لوامون ، وأنا أعلم اننا موضوع حديثهم هنا وهناك ولم تجبه شارلوت ، وبدا أن البرت يشعر بصمتها وعلى الأقل منذ ذلك الحين لم يعد للكلام قط عن فيرتر ، وكان اذا طرقته الموضوع يترل الحديث عنه يموت ، او يوجهه وجهة اخرى وكانت المحاولة الفاشلة التي قام بها فيرتر لانقاذ القاتل الشقي في اخر خفقة واهنة لشعلة توشك أن تخمد فقد استولت عليه بعد ذلك فورا تقريبا حالة من الوجوم والجمود، إلى أن اضطرب تمام الاضطراب حين علم أنه سيدعى للشهادة ضد المتهم الذي ادعى البراءة التامة وأخذت نفسه تعاني القهر من ذكرى كل الجدود العاشرة والنكبات التي مرت به في مماضي حياته فالهوان الذي مني به في صحبة السفير ، نم متاعبة اللاحقة ، بعثت حية في ذاكرته ، وأقعده ذلك عن كل نشاط ، وزايلته همته ، وانقطع عن مزاولة كل ألوان الشواغل التي يتكون منها نسيج الحياة العادية ، وصار فريسة وساوسة الخاصة وعاطفته المقيمة المفيدة لأحب النساء وارقهن ، وهي التي دمر هدوءها وسلامها النفسي وانقضت ايامه في تلك الرتابة التي لا تعرف التباين ، وأنهكت قواه بدون هدف او غاية ، الى أن انتهت به نهاية اسيفة ونمة خطابات قلائل تركها من بعده ، نوردها هنا ، وهي خير دليل على قلقه النفسي واضطراب تفكيره وعمق عاطفته ، كما انها خير دليل ايضا على شكو كه وهواجسه وصراعاته وسأمه الحياه

عزيزي فلهلم لقد اصبح حالي حال أولئك التعساء العاثري الحظ الذين يعتقدون أنهم فريسة روح شرير يتعقبهم ، فأحيانا يستولي علي ، لا احساس بالتوجس والخوف ، بل انارة داخلية لا يمكن وصفها ، تثقل على قلبي ،

وتعترض انفاسي عندئذ أضرب في الأرض ليلا ، حتى في هذا الموسم العاصف ، واجد لذة في تأمل المشاهد الرهيبة من حولي : وامس مساء خرجت وتجولت ، وكان دفيم سريع يذيب الثلوج قد حل على حين غرة ، وقيل لي أن مياه النهر ارتفعت ، وأن جميع الجداول قد فاضت على ضفافها ، وان وادي فالهايم قد اصبح كله تحت الماء ومع دقات انتصاف الليل اسرعت بالخروج ، فرأيت منظرا مخيفا ، فالسيول الهادرة كانت تتدفق من أعالي الجبال في ضوء القمر ، والحقول والمراعي والأشجار والأسوار النباتية اختلط بعضها ببعض ، وانقلب الوادي كله الى بحيره عميقة الفور ، تضطرب مياهها تحت سياط الرياح المزمجرة ولا سطع ضوء القمر ، وصبغ السحب الداكنة باللون الفضي وارغت السيول العارمة وازبدت تحت قدمي باندفاع عظيم مخيف ، استولى على احساس غريب يجمع بين التوجس والحبور ، وبذراعين مفتوحتين حدقت من تحتي في الهوة التي فغرت فاها وصحت - : شب غم وتخلت عني حواسي لحظة في غمار الفرح العميق بوشك انتهاء احزاني و آلامي برتبة واحدة أغوص بها في تلك الهاوية ثم احسست وكأني قد تسمرت في الارض فعجزت عن وضع نهاية لعذابي ان ساعتي لم تحن بعد اشعر بذلك الان آه يا فلهلم ، لكم كنت خليقا ان اتخلى طواعية عن وجودي ، كي اركب دوامة الرياح ، او لأعانق السيل المنحدر الطامى او ليست النسوة عسيرة عندئذ أن تكون من نصيبه هذه الروح الطليق ؟ وادرت عيني الاسوانتين الاسيفتين صوب بقعة السيرة ، حيث كنت متعودا أن أجلس مع شارلوت تحت صفصافة بعد مسيرة مجهدة وا اسفاه لقد غمرتها المياه ، وبكل صعوبة تسقطت عيني المرعى و فكرت في الحقول المحيطة بمقر الصيد اترى دمرت هذه العاصفة التي لا ترحم مريشتنا الغالية ؟ وعندئذ تر قرقت على نفسي شماعة من سعادتي الغابرة ، على نحو ما تشرق نفس الأسير حينما تحلم بالقطعان والاسراب ومسرات

موطنة الماضية ولكني خلي من الكلام ولدي الشجاعسسة والإقدام على الموت أجل لعلها لدي بيد اني لم ازل جالسا ها هنا ، كالمتسولة التعسة التي تجمع الحطب ، وتستجدي الخبز من باب الى باب كى تطيل لبضعة أيام معدودات حياة شقية لا تطاوعها نفسها على التخلي عنها ماذا دهاني يا عزيزي فلهلم ؟ خائف انا من نفسي ؟ او ليس حبي أنا من انقى وأقدس العواطف الأخوية ؟ هل تدنسته نفسي ابدا برغبة حسية او شهوانية واحدة ؟ ولكني لن أدافع عن نفسي ولن احتج والان ايتها الرؤى الليلية ، لكم اصاب فهمك أولئك البشر الفانون الذين عزوا تأثيراتك المتناقضة الى قوي لا تقهر الليلة - واني لأرتجف وأنا اعترف بهذاضممتها بين ذراعي ، في عناق قوي لا فكاك منه ، اجل ضممتها السى صدري وغمرت قبلات لا تحصى هاتين الشفتين الفاليتين اللتين كانتا نجيباني بأرق الفاظ الحب وزاغ بصري وغام سكرا بخمر عينيها الرائعتين رباه اخطيئة هي أن انتشي مرة أخرى بمثل هذه السعادة ، وان استعيد مرة اخرى تلك اللحظات العلوية بأشد ما يكون من الجذل والحبور ؟ شارلوت شارلوت لقد ضعت حواسي مختلطة ، وذكرياتي مبلبلة ، وعيناي غارقتان في الدموع - مريض آنا ، ولكني لم ازل مع هذا صحيحا معافي - لا اتمني شيئا ، ولا ارجو شيئا ، ولا اشتهي شيئا الا انه كان خيرا لي واولي أن أرحل عن الدنيا وفي الظروف المذكورة آنفا سيطر على نفس فيرتر العزم على مغادرة هذا العالم ومنذ عودة شارلوت صارت هذه الفكرة غاية جميع آماله وأمانيه ، بيد انه قرر أن مثل هذه الخطوة ينبغي ألا تتخذ في تسرع، بل بهله وء وطمأنينة ، وبأقصى ما يمكن من الروية ويمكننا أن نفهم متاعبه وصراعاته الداخلية من الشذرة التالية ، التي وجدت - بفير تاريخ ما بين اوراقه ، ويبدو أنها كانت بداية رسالة الى فلهلم حضورها ، وقدرها ، وتعاطفها نحوي ، لم تزل لها القدرة على استدرار الدموع من راسي الواهن يرفع المرء الستار ، ويمر الى

الجانب الاخر وهذا كل شيء ولماذا كل هذه الشكوك والمطل ؟ لأننا لا ندري ماذا وراء الستار لأنه لا عودة من هناك - ولأن عقلنا يستنتج ان كل شيء هناك ظلام وفوضي ، ما دام ليس تحت يدنا شيء قاطع واخيرا تغير منظره كثيرا ، بتأثير افكاره المكتبة ، واتخذ اخيرا قراره النهائي الذي لا رجعة فيه ، الذي لعل الرسالة الغامضة التالية التي وجهها الى صديقه تقدم الدليل عليه

اني مدين لك بالعرفان لما تكنه لي من حب يا فلهلم ، ولنصائحك الرصينة المتكررة اجل ، انت على صواب ، فمن الأفضل بلا شك أن ارحل بيد أني لا أوافق تمام الموافقة على مشروعك بالعودة فورا الى جوارك ، لاني اريد على الأقل ان اقوم برحلة صغيرة في الطريق اليك ، ولاسيما اننا نتوقع الان صقيما متواصلا ، مما يجعل الطرق جيدة وانا مسرور جدا بانتوائك القدوم لاحضاني ولكن ارجيء رحلتك اسبوعين ، وانتظر رسالة اخرى مني ، فلا ينبغي للمرء أن يقطف ثمرة قبل أوانها ، واسبوعان من التبكير أو التأخير يحدثان فارقا كبيرا ناشد والدتي ان تصلي لاجل ولدها ، وقل لها اني استغفرها لكل الشقاء الذي سببته لها فقد كان قدري دائما ان اسبب الألم لمن كان ينبغي ان ازيد في سعادتهم وداعا يا أعز صديق ولتحل عليك كل بركات السماء وداعا واننا لنجد مشقة في التعبير عن المشاعر التي جاشست بها نفس شارلوت خلال هذه الفترة من الزمن ، سواء أكان ذلك فيما يتعلق بزوجها ، أو بصديقها المنكود ، وان كانت معرفتنا بطبعها تتيح لنا أن نفهم طبيعة هذه المشاعر و من المقطوع به انها كانت قد اعتزمت بكل ما تحت سلطانها من وسائل أن تجعل بينها وبين فيرتر ضربا من المباعدة ، ولئن ترددت في قرارها هذا فعن شعور صادق بالرحمة والمودة ، لعلمها بمبلغ ما سيكلفه ذلك القرار من عنت بل أنه كان خليقا ان يجد ما يشبه الإستحالة في الانقياد الرغبتها الا ان اسبابا متباينة جثتها على اتخاذ خطة

الحزم معه وكان زوجها قد لزم الصمت التام حول المسألة كلها ، ولم تجعلها هي موضوعا للحديث قط ، لشعورها أن من الواجب اللزام عليها أن تثبت له بسلوكها آن رأيها متفق مع رايه ، ومشاعرها متفقة مع مشاعره و في نفس ذلك اليوم، الذي كان يوم الأحد السابق علي عيد الميلاد ، جاء فيرتر الى بيت شارلوت ، بعد أن كان قد كتب الخطاب الذي أوردناه آنفا الى صديقه ، فوجدها بمفردها وكانت مشغولة باعداد بعض الهدايا الصغيرة لاخوتها وأخواتها ، كي توزعها عليهم يوم عيد الميلاد وشرع فيرتر يتكلم عن حبور الأطفال ، وعن تلك المرحلة من العمر التي يسبب فيها ظهور شجرة عيد الميلاد ، مزينة بالفاكهة والحلوى ، ومضاءة بالشموع، هزة فرح فقالت شارلوت ، مخفية حرجها تحت ابتسامة عذبة - : وأنت ايضا ستنال هدية ، أن احسنت السلوك فقال - : وما هذا الذي تسسمينه سلوكا حسنا ؟ ماذا ينبغي أن اصنع ؟ وماذا يسعني أن أصنع يا عزيزتي شارلوت فاجابته - :مساء الخميس يوافق ليلة عيد الميلاد وسيكون الأطفال جميعا هنا ، وكذلك ابي وهناك هدية لكل واحد من الحاضرين فتعال انت ايضا ، ولكن لا تأت قبل ذلك الحين فأجفل فيرتر ، فأردفت قائلة - : أريد منك الا تحضر قبل ذلك الوقت ، فلا بد من هذا اني اطلبه منك خدمة لي ، فليس في وسعنا أن نمضي على هذه الوتيرة بعد الان أشاح عنها بوجهه ، وراح يذرع الحجرة جيئة وذهابا ، وهو يغمغم بلفظ غير مبين - : ليس في وسعنا أن نمضي على هذه الوتيرة بعد الآن ولما ابصرت شارلوت ذلك الاضطراب العنيف الذي غمرته به هذه الكلمات ، حاولت أن تصرف ذهنه عن التفكير فيها بأسئلة مختلفة ، ولكن جهودها ذهبت هباء ، وصاح - : كلا با شارلوت لن اراك بعد الآن فأجابته : - ولم هذا ؟ في وسعنا بل يجب أن يرى كل منا الاخر ، ولكن اجعل ذلك مقترنا بمزيد من الحرص اوه لماذا ولدت بهذا الولع المفرط الجامح بكل ما هو عزيز عليك ثم تناولت يده وقالت :

-اناشدك ان تهدا ، ولسوف تمدك مواهبك وفهمك ، وعبقريتك بمدد لا ينفد كن رجلا واقهر تعلقا تعسا لمخلوقة لا تستطيع لك شيئا ، اللهم الا الإشفاق عليك ولرثاء لك فعض شفتيه ، ونظر اليها بسسحنة واجمة ، واستمرت هي ممسكة بود و قالت - : أعرني لحظة صبر يا فيرتر ، الست ترى أنك تخدع نفسك وانك تسعى الى حتفك بظلفك ؟ لماذا لا بد لك من حبي ، أنا وحدي ، التي انتمي الى رجل اخر ؟ إني لأخشى ، واخشى كثيرا ، أن تكون استحالة الحصول علي هي التي تجعل رغبتك في بهذه القوة فجذب يده من يدها ، وهو يتفحصها بنظرة ضارية غاضبة وصاح : محسن هذا حسن جدا أليس البرت هو الذي زودني بهذه الفكرة ؟ انها لملاحظة عميقة عميقة جدا فأجابته - : انها فكرة يمكن أن تخطر لاي انسان بسهولة وهل لا توجد في العالم كله امرأة حرة وقادرة على اسعادك ؟ اقهر نفسك ، وابحث عن مثل هذه المخلوقة ، وصدقني وانا اقول لك انك واجدها حتما لقد شعرت منذ أمد طويل انك حبست نفسك اطول مما ينبغي داخل حدود دائرة غاية في الضيق اقهر نفسك ، وابذل جهدا ، وقم برحلة قصيرة ، فسوف تجدي عليك جدا وانشسد واعثر لنفسك على موضوع جدير بحبك ، ثم عد الى هنا ودعنا نستمتع معا بكل السعادة التي تتيحها أكمل صداقة فأجابها فيرتر بابتسامة باردة - : هذه الخطبة جديرة بأن تطبع ، ليفيد منها جميع المعلمين فاسمحي لي يا عزيزتي شارلوت بمهلة قصيرة أخرى ، يكون بعدها كل شيء على ما يرام فقالت - : ومع هذا يا فيرتر ، لا تعد قبل عيد الميلاد وأوشك أن يجيبها بشيء ما، واذا بألبرت يدخل وحيا كل منهما صاحبه بفتور ، وفي حرج متبادل وراح كل منهما يذرع الحجرة وادلى فيرتر ببضع ملاحظات شائعة المعنى ، وكذلك صنع البرت ، وسرعان ما انقطع بينهما الحديث ، وسال البرت زوجته في بعض شئون البيت ، ولما وجد بعض مطالبه لم تنفذ ، استخدم تعبيرات بدت في اذني فيرتر بالغة الخشونة ، وأراد أن ينصر ف

، ولكنه لم يجد القدرة على الحركة وظل على هذا الوضع حتى الساعة الثامنة ، وضيقه وسخطه يتزايدان واخيرا اعدت المائدة للعشاء ، فتناول عصاه وقبعته ودعاه البرت للبقاء ولكن فيرتر حسبه يؤدي مجاملة شكلية ، فشيكره بفتور وغادر البيت وعاد فيرتر الى البيت ، وتناول الشمعة من خادمه واوي الى حجرته بمفرده، وظل برهة يتحدث الى نفسه بكل حرارة ، وبكي بصوت مرتفع ، وتمشي في الحجرة باهتياج شديد واخيرا القى بنفسه من غير أن يخلع ثيابه ما على الفراش ، حيث وجده خادمه في الساعة الحادية عشرة ، عندما غامر بدخول الحجرة لخلع حذائه ولم يمنعه فيرتر من ذلك ، ولكنه نهاه عن الدخول عليه في الصباح الى ان يدق له الجرس

وفي صباح الاثنين ٢١ ديسمبر كذب الى شارلوت الرسالة التالية ، التي وجدت مختومة على مكتبه بعد وفاته ، فسلمت ليها وساورد هنا في صورة شذرات ، حيث أنه يبدو من ظروف عديدة أنها كتبت على ذلك النحو - :

انتهى كل شيء يا عزيزتي شارلوت ، فقد قررت أن أموت واني اتخذ هذا القرار بأناة وروية وبرود اعصاب ، لا عن عاطفة رومانسية ، في صباح ذلك اليوم الذي سأراك فيه للمرة الأخيرة ففي الوقت الذي تطالعين فيه هذه السطور ، يا خير النساء ، يكون القبر البارد قد ضم رفاتا هامدة هي رفات ذلك المخلوق القلق التعس الذي لم يعرف في اخر لحظات وجوده لذة تضارع حديثه معك لقد أمضيت ليلة رهيبة ، بل الأولى ان اقول ليلة مبشرة بالخير ، لأنها أتاحت لي العزيمة ، وحددت لي غايتي لقد اعتزمت أن أموت ، فعندما انتزعت نفسي منك بالأمس كانت حواسى مشوشة مختلة ، و قلبي مكر وبا ، وقد هرب مني الأمل والسرور الى الأبد ، واستولت على كياني التعس برودة مروعة فلم اكسد استطيع الوصول الى حجرتي ، وهناك جثوت على ركبتى، وجادت علي السماء لاخر مرة بعزاء الدمع المنهمر وثارت في نفسي الف فكرة الى أن استولت اخر الامر على فؤادي فكرة

ثابتة نهائية أن أموت فاستلقيت لاستريح ، وفي الصباح ، في ساعة اليقظة الهادئة ، وجدت ذلك التصميم نفسه مسيطرا على : ان اموت انه ليس اليأس ، بل الاقتناع بأن كيل عذابي قد طفح ، واني وصلت الى اجلي المحتوم ، ولا مناص من تضحيتي بنفسي في سبيلك اجل يا شارلوت ، ولم لا أعترف بذلك لك ؟ أحدنا نحن الثلاثة لا بد أن يموت ، وهذا الواحد سيكون فيرتر اي شاراوت المحبوبة أن هذا القلب الذي يجيش بالغضب كثيرا ما امره ان اقتل زوجك - او اقتل نفسى واخيرا خرج السهم وفي أمسيات الصيف الصافية الهادئة ، عندما تتجولين احيانا صوب الجبال ، فكري في ، وتذكري كيف كنت ترقبينني وأنا قادم لالقاك من الوادي ثم وجهي ناظريك الى فناء الكنيسة التي تضم لحدي ، وفي ضوء الشمس الغاربة لاحظي كيف يحرك النسيم العشب الطويل النامى قبرى لقد كنت هادئا عندما بدأت هذه الرسالة ، ولكن ذكرى المشاهد جعلتني أبكي كالطفل

فوق هذه وحوالي الساعة العاشرة صباحا استدعى فيرتر خادمه ، واخبره - وهو يرتدي ملابسه - انه ينوي الانطلاق في رحلة بعد بضعة أيام ، ولذا أمره ان يرتب له ثيابه ، وبعدها الحزم ، وان يسدد جميع حساباته ، ويسترد جميع كتبه التي كان قد أقرضها ، وأن يعطي راتب شهرين

للفقراء والمعوزين الذين تعودوا أن يتقاضوا منه معونات اسبوعية وتناول بعد ذلك افطاره في حجرته ، ثم امتطى صهوة جواده وتوجه الزيارة ناظر الزراعة ، فلم يجده في البيت فراح يتمشى متفكرا في الحديقة ، وبدا متلهفا على تحديد جميع الأفكار المؤلمة له أشد الا بلام ولم يتركه الاطفال وحده وقتا طويلا، بل تتبعوه وراحوا يتراقصون حوله ، وأخبروه انهم بعد غد، وغدا ، ويوما اخر بعد ذلك ، سيتلقون هداياهم لعيد الميلاد من شارلوت ، وراحوا يحصون له الاعاجيب التي تخيلتها عقولهم الطفلة فقال - : غدا وبعد غد، ويوما بعده ايضا وقبلهم بحنان وهم بالانصراف ، بيد أن الولد

الاصفر استوقفه كى بهمس بشيء في اذنه قال له ان اخوته الأكبر منه كتبوا تمنيات جميلة للعام الجديد - كبيرة جدا - احداها لبابا ، واخرى لشارلوت والبرت ، وثالثة لفيرتر وان هذه التمنيات ستقدم في الصباح الباكر من ي وم راس السنة فتأثر فيرتر لهذا أعظم التأثر ، وأعطى كل واحد من الاطفال هدية ، ثم ركب حصانه وترك تحياته لبابا وماما ، وغادر المكان والدموع تجول في عينيه وعاد الى البيت في نحو الساعة الخامسة ، فأمر خادمة أن يبقى ناره مشتعلة ، وان يحزم كتبه وثيابه الداخلية في قاع الحقيبة الضخمة ، وأن يضع معاطفه على وجه الحقيبة ، ويبدو أنه كتب بعد ذلك الاضافة التالية لرسالته الى شارلوت - : انت لا تتوقعين قدومي وتعتقدين أني سأطيعك ولا اعود لزيارتك حتى ليلة عيد الميلاد اوه يا شارلوت اما ان ازورك اليوم او لن ازورك ابدا ففي يوم عيد الميلاد س وف نمسكين بهذه الورقة في يدك ، وسترنجفين وتبللينها بدموعك سأفعل ذلك اسعدني بالتصميم وفي هذه الأثناء كانت شارلوت في حالة نفسية تثير الشفاق فبعد حديثها الأخير مع فيرتر ادركت مبلغ ما ينطوي عليه منعه عن زيارتها من ايلام لها ، وادركت كم سيكون هذا التفريق بينهما شديد الوطاة عليه وكانت في حديث مع البرت قد أشارت عرضا إلى أن فيرتر سوف لا يعود قبل ليلة عيد الميلاد وبعد ذلك بقليل ذهب البرت على صهوة جواده لزيارة شخص من أهل الجيرة كانت بينهما صفقة عمل سوف تستبقيه تنده طول الليل وكانت شارلوت جالسة بمفردها ، وليس بقربها احد من افراد أسرتها ، فأسلمت نفسها للافكار التي استولت على ذهنها وهي مرتبطة الى الابد بزوج جربت حبه واخلاصه لها ، وهي متعلقة به تعلقا قلبيا ، حتى انه ليبدو لها هدية خاصة من السماء لضمان سعادتها وتأمينها ومن جهة اخرى صار فيرتر عزيزا عليها ، وبينهما مشاركة عاطفية حميمة نشأت منذ أول ساعة التقيا فيها ثم أن اجتماعاتهما ومقابلاتهما المتكررة تركت في فؤادها

أثرا لا يمحى وقد تعودت أن تفضي اليه بكل خاطر وكل شعور يخالجها ، حتى صار غيابه يهددها بايجاد فجوة من الخواء في حياتها ربما كان من المستحيل ملؤها ولكم تمنت من صميم قلبها لو استطاعت ان تحوله الى ا لها ، وان تغريه او تستدرجه الى الزواج من احدى صديقاتها ، او يعيد المودة الحميمة بينه وبين البرت وراحت تستعرض بعين خيالها صديقاتها الحميمات ، بيد أنها وجدت وجه اعتراض على كل واحدة منهن ، فلم يستقر رايها على أي واحدة منهن كى ترتضيها له وفي غمار هذه الاعتبارات شعرت شعورا عميقا م وان كان غ ير متميز أن رغبتها الحقيقية التي لا تريد الافصاح عنها أن تستبقيه لنفسها وانتاب فؤادها الطاهر الودود من جراء هذا الخاطر احساس بالضيق يكاد يحرم عليها كل توقع للسعادة وابتأست ، وخيمت على رؤيتها العقلية سحابة سوداء وكانت الساعة منتصف السابعة ، عندما سمعت وقع خطوات فيرتر على السلم ، وعر فت صوته على الفور وهو يسأل أهي في البيت ودق قلبها دقا عنيفا - ويكاد يكون ذلك لأول مرة - لإحساسها بوصوله وكان الوقت قد فات لانكار وجودها وما أن دخل حتى هتفت به في ارتباك لم تحسن اخفاءه - : اراك لم تبر بوعدك فأجابها - : ولكني لم اعد بشيء فقالت : - ولكن كان ينبغي عليك أن تستجيب لطلبي ، لأجل خاطري على الاقل ، بل اني لأناشدك ذلك من اجلنا كلينا ولم تكد تعرف ماذا قالت او فعلت ، ولكنها ارسلت في طلب بعض الأصدقاء ، ممن يحول وجودهم دون انفرادها بفيرتر ووضع على النضد بضعة كتب كان قد جاء بها معه ، ثم سألها عن كتب أخرى ، الى ان بدأت تأمل في وصول أصدقائها بسرعة ، وان كانت في الوقت نفسه تمنت الا يحضروا وفي لحظة من اللحظات تملكها القلق لبقاء الخادم في الحجرة المجاورة ثم لم تلبث أن عدلت عن رايها وكان فيرتر في هذه الأثناء يذرع الحجرة في صبر نافد وتوجهت الى البيانو ، وقد قررت الا تنسحب ، ثم

استجمعت افكارها وجلست بهدوء بجانب فيرتر ، الذي كان قد اتخذ مجلسه المعتاد فوق الاريكة به تمنا وسألته : الم تأت معك بشيء تقراه ؟ ولم يكن معه شيء ، فقالت - : هناك في درجي ستجد ترجمتك لبعض اغاني الشاعر اوسيان وانا لم اقراها بعد ، لأن الأمل لم يزل يخامرني أن أسمعك تلقيها بنفسك ولكن لم تسنح لي الفرصة لتحقيق هذه الأمنية من قبل فابتسم ، وذهب لإحضار المخطوطه ، وتناوله وقد عرته رجفة ، ثم جلس ، وقد امتلأت عيناه بالدموع ، وشرع في القراءة : يا نجم الليل الهابط ما احلى ضياءلك في الغرب وانت ترفع راسك غير المقصوص عن سحابتك ، وخطواتك فوق التل مهيبة فماذا ترى في السهل ؟ لقد هدات الرياح العاصفة وهمهمة السيل المنحدر تأتي م ن بعيد ، والأمواج الهادرة تتسلق الصخرة النائية وذباب المساء تخف على اجنحته الواهنة ، وطنين مسارها يخيم على العقول فماذا ترى ايها الضوء البهي ؟ ولكن هأنت تبتسم وترحل ، والامواج تحدق بك في حبور، كي تغسل شعرك الجميل وداعا ايها الشعاع الصامت دع ضياء روح اوسيان يشرق وانه ليشرق بكل عنفوانه واني لأرى اصحابي الراحلين ، وقد تجمعوا فوق لورا، كما كانوا يفعلون في سالف الأيام وها هو فنجان يأتي مثل عمود مائي من الضباب ومن حوله ابطاله ، وارى كذلك شعراء الفناء الصالحين : اوليم الاشيب الشعر ، ورينو المهيب واليين الرخيم الصوت واسمع شكوى مينونا الخافتة لكم تغير تم يا اصدقاء ، منذ ايام مأدبة سلمى ، حينما كنا نتنافس ، مثل رياح الربيع التي تهب على امتداد التل ، وتحني تباعا أعواد العشب فينبعث منها صفير واهن ها قد اقبلت مينونا بكل جمالها ، مطرقة دامعة العين وشعرها يتطاير ببطء مع الانسام القليلة التي تهب من التل وغمر الحزن ارواح الابطال عندما رفعت صوتها الرخيم فتراءى لاعينهم قبر سلجار، والمقر المظلم لكولما ذات الصدر الابيض وغدت كولما وحيدة فوق التل

بكل صوتها الصادح ولقد وعد سلجار أن يأتي ، ولكن الليل خيم على كل ما يحيط بها فاسمعوا صوت كونا عندما جلست وحيدة فوق التل كولما : سجا الليل وأنا وحدي ، مهجورة فوق تل العواصف وصوت الرياح يأتي من الجبال والسيل يعول منحدرا فوق الصخر وما من كوخ يأويني من المطر : منبوذة أنا فوق تل الرياح اطلع يا قمر من وراء السحاب يا نجوم الليل أشرقي وقدني يا ضياء الى المكان الذي يستجم فيه حبيبي من القنص وحده ؛ أن قوسه بقربه غير مشدودة الوتر ، وكلابه تلهث من حوله ولكنني هنا لا بد أن اجلس وحدي عند صخور الجدول والجدول والرياح لهما هدير م ن حولي ولا اسمع صوت حبيبي لماذا تأخر الجار ؟ لماذا اخلف زعيم التل وعده ؟ ها هي الصخرة ، وها هي الشجرة، وها هو الجدول الهادر وانت قد وعدت أن تأتي مع هبوط الليل آه حبيبي الجار اين ذهب ؟ معك مستعدة أنا أن أهرب من ابي ومن اخي التياه منذ زمن بعيد وسلالتانا اعداء ، ولكننا لسنا عدوين يا سلجاركفي لحظة يا رياح عن الهبوب واصمت برهة يا جدول واتر كا صوتي يرن فيسمعه كل ما حولي ، كي يسمعني حبيبي الجوال سلجار انها كولما تناديك ها هي الشجرة والصخرة يا سلجار يا حبيبي انا ولو هنا لماذا تؤجل حضورك ؟ عجبا ها هو القمر الهادىء مقبل والفيضان قد صار لامها في الوادي ، والصخور صارت رمادية في المنحدر ولست اراه على كتف التل ، وكلابه لا تسبقه مؤذنة باقترابه لا بد لي من الجلوس هنا وحدي من اللذان يرقدان على العشب بجواري ؟ اهما حبيبي واخي ؟ حد ثاني يا صاحبي ولكنهما لا يردان على كولا حد ثاني فأنا وحدي وروحي تعذبها المخاوف آه انهما ميتان وسيفاهما احمران من القتال واها لك يا اخي لماذا قتلت يا أخي سلجار ؟ ولماذا يا سلجار قتلت اخي ؟ عزيزين علي كنتما كليكما وماذا اقول اطراء لكما ؟ لقد كنت انت الفذ فوق التل من بين الألوف وكان هو

مروعا في القتال حدثاني اسمعا صوتى اسمعانى يا فتيى حبي ولكنهما صامتان ، صامتان الى الأبد وبار دان ، باردان صدراهما الصلصاليين من صخرة التل ، ومن قمة المنحدر المعول الرياح تكلمي يا اشباح الموتى تكلمي ، فلن اخاف اين ذهبت لتستريحي ؟ وفي اي كهف من كهوف التل سأجد الراحلين ؟ ما من صوت واهن تحمله الريح ، وما من جواب نصف غارق في العاصفة اني اجلس غارقة في حزني: انتظر الصباح غارقة في دموعي اقيموا الجريح يا اصدقاء الفقيدين ، ولا تغلقوه حتى تأتي كولما حياتي تتبدد كحلم لماذا اتخلف انا ؟ هنا سأبقى مع اصدقائي ، قرب الجدول والصخرة وعندما يخيم الليل على التل ، وتثور الرياح العالية الصوت ، سيقف شبحي وسط الزوبعة ويندب موت اصدقائي ولسوف يسمع الصياد من سقيفته ، ويخاف ولكنه سيحب صوتي ؛ لأن صوتي سيكون عذبا لاصدقائي : فقد كان اصدقاء كولا اعزاء عليها هكذا كانت اغنيتك يامينونا ابنة تورمان التي يحمر وجهها خجلا ، ان دموعنا همت لاجل كو لما ، وكانت أرواحنا حزينة وجاء اولين بمزهره وعزف عليه أغنية البين ;ان صوت البين رخيما ، وروح رينو كانت لسانا من لهب ولكنهما كانا قد بقيا في البيت الضميق ، وتوقف صوتهما في سلمى كان اولين قد عاد ذات يوم من الصيد قبل سقوط البطلين وسمع صوت نزاعهما فوق التل كان غناؤهما حزينا كانا يبكيان سقوط مورار ، اول البشر الفانين كانت روحه مثل روح فنجال وسيفه مثل سيف اسكار ، ولكنه سقط ، وبكاه ابوه ، وامتلأت عينا اخته بالدموع ، عينا مينونا كانتا مونتين بالدموع ، اخت از مورار كانت وانسحبت من أغنية اولين ، كما ينسحب القمر في الغرب عندما يتوقع الفيث ويخفي راسه في سحابه ولست أنا مزهر اولين تصاعدت اغنية الحزن رينو : الريح والمطر قد انتهيا والظهيرة هادئة والسحب في السماء متفرقة وفوق التلال الخضر تسطع الشمس ومن

الوادي الصخري ينحدر جدول التل احمر اللون ما احلى خريرك ايها الجدول ولكن الصوت الذي اسمعه احلى من خريرك أنه صوت البين ابن الأغنية ، يندب الموتى وراسه قد حنته السن ، وعيناه الدامعة حمراء لماذا يا البين يا بن الأغنية - اراك وحدك على التل الصامت ولماذا تشكو بصوت كأنين الريح في الغابة ، وكموجة على شاطىء موحش ؟

البين : دموعي يارينو من اجل الموتى - وصوتي لأجل من رحلوا عن دنيانا طويل انت فوق التل ، ووسيم انت بين ابناء الوادي ولكنك سو في تسقط مثل مورار ، وسيعقد النادب على قبرك ولن تعرفسك التلال من بعد ، وقوسك ستكون ملقاة في بهوك غير مشدودة الوتر قد كنت سريعا يا مورار كالابل في الصحراء ورهيبيا كنت شهاب من نار وغضبك كان مثل العاصفة ، وسيفك في المعركة كالبرق في الحقل وصوتك كان كالجدول عقب المطر ، وكالرعد فوق التلال البعيدة كثيرون سقطوا بقوة ذراعك ، وأكلتهم نيران غضبك ولكن عندما عدت من الحرب ، كم كان جبينك هادئا مسالما كان وجهك كالشمس بعد المطر ، وكالقمر في سكون الليل ، وهادئا كوجه البحيرة عندما تسكن الريح المدوية ما اضيق مسكنك الان وما أشد ظلمة مثواك بثلاث خطوات تدور حول قبرك يا من كنت عظيما جدا من قبل وأربعة أحجار تفلي رءوسها الطحالب هي كل شاهد قبرك وشجرة لا تكاد تنبت فيها ورقة ، وعشب طويل تصفر فيه الرياح ، هما كل ما يرشد عين الصياد الى قبر مورار الجبار مورار ما انكدك حقا ، فلا ام لك تندبك ، ولا فتاة تذرف عليك دموع الحب فمن ولدتك قد ماتت ، وابنة مورج لان سقطت صريعة ومن هذا المتكيء على عكازه ؟ من هذا الذي ابيض رأسه بحكم السن واحمرت عيناه من كثرة البكاء ، ويهتز مع كل خطوة يخطوها ؟ انه ابوك يا مورار الأب الذي لم ينجب سواك لقد سمع بشهرت في الحرب، وبما شتت قوتك من اعداء لقد ترامي اليه صيت مورار ، فلماذا ل

يسمع بالجرح الذي اصابه ؟ ابك يا والد مورار ابك ما استطعت، ولكن ولدك لن يسمعك فما اعمق نوم الموتي ، غائرة وسادتهم في التراب لن يسمع صوتك بعد الآن، ولن يوقظه نداؤك متى اذن يحين وقت النهار في القبر كي نؤذن النيام بالنهوض ؟ وداعا يا اشجع الرجال يا قاهر الميدان ولكن الميدان لن برالك بعد الآن، ولا الغابة المظلمة سبضيء ظلمتها بهاء سيفك انك لم تنجب ولدا ، ولكن الأغنية ستخلد اسمك وستسمع الأجيال القادمة بشهرتك سيسمعون بمصرع مورار وثار حزن الجميع وفاض ، ولكن زفرة ارمين كانت أشدها حزنا فهو يذكر موت ولده الذي سقط صريعا في ايام شبابه وكان كار مور عن كثب من البطل ، فسأل لماذا يصعد ارمين الزفرات ؟ اهناك ما يدعو للحزن ؟ ان الاغنية نذوب مع موسيقاها فتروق النفس ، فما أشبهها بالضباب الناعم الذي يتصاعد من البحيرة ، وينسكب على الوادي الصامت والازهار الخضر قد غمرها االندى ، ولكن الشمس تعود في عنفوانها ، فيتبدد الضباب لماذا انت حزين يا ارمين يا زعيم جورما التي يحيط بها البحر ؟ حزين أنا وليس سبب حزني بالهين انك يا كار مور لم تفقد ولدا ، ولم تفقد ابنة حسناء ان كو لجار الوغد على قيد الحياة وانيرا أجمل الفتيات ان اغصان عائلتي عالية ، يا كارمور ، ولكن أرمين اخر سلالته ما احلك فراشك يا دورا وما أعمق نومك في القبر فمنى تستيقظين اذن بأغانيك ، وبكل صوت الموسيقي ؟ استيقظي يا رياح الخريف ، وهبي على العشب ويا جداول الجبال زمجري ، وزمجري يا زوابع على خمائل بلوطسي وسر بين السحب المتقطعة يا قمر وارنا وجهك على فترات ، واعد الى ذهني الليلة التي سقط فيها جميع اطفالي صرعى حينما سقط «ارندال الجبار، وسقطت دورا الحسناء دورا يا ابنتي لقد كنت بهية بهية مثل القمر فوق فورا، وبيضاء مثل الثلج ، وعذبة كالنسيم العليل لقد كانت قوسك قوية يا اندال ، وكان رمحك سريع الاندفاع في

الميدان ، وكانت نظرتك كالضباب فوق المرج ، ودرعك كانت سحابة حمراء وسط العاصفة وجاء ارمار الشهير في الحروب يطلب حب دورا ولم يطل رفضه وكان امل اصدقائهما عريضا وكان ايران بن أدجال ساخطا متبرما ، لان ارمار كان قد قتل اخاه ، فجاء متنكرا كأحد أبناء البحر ، وكان مركبه جميلا فوق الموج ، وخصلاته كانت بيضاء بفعل السن، وكان جبينه الحاد هادئا صافيا ، و قال : يا اجمل النساء وابنة ارمين المحبوبة أن صخرة بعيدة جدا في البحر تنبت فيها شجرة ، ثمرتها الحمراء تلمع من بعيد وهناك ينتظر ارمار دورا ، وقد جئت كي احمل اليه حبيبته وذهبت ، ونادت ارمنار ، فلم يجبها احد الا ابن الصخر ، ارمار يا حبي يا حبي لماذا تعذبني بالخوف ؟ اسمعني يا بن ارنارت اسمعني دورا هي التي تناديك وفر ايرات الخائن ضاحكا الى البر ورفعت هي صوتها ، ونادت اخاها واباها ارندال ارمين لا احد ينقذك يا دورا وجاء صوتها عبر البحر ونزل ابني ارتدال من التل ، ومعه اسلاب الصيد ، وسهامه تصلصل الى جانبه ، وقوسه في يده ، وخمسة كلاب مرحة تقفو خطاه ورأى ايرات المتوحش على الشاطيء ، فقبض عليه وشد وثاقه الى شجرة بلوط بكتاف من الجلد حول اطرافه ، فملات تأوهاته أدراج الرياح ور كب ارندال نور ته وشق به العباب كي يعود الى الارض بذورا ، وجاء ارمار في كل غضبه ، واطلق سهمه المريش ، فغاب السهم في قلبك يا ولدي ارندال وبدلا من ايرات الخائن كنت الضحية وتوقف المجداف على الفور، وارتطم الزورق بالصخر ما اشد حزنك يا دورا حينما أريق على قدميك دم اخيك ؟ لقد تحطم القارب نصفين ، والقي ارمار بنفسه في اليم كي ينقذ دوراه أو يموت و فجأة هبت ريح صرصر من التل في الأمواج ، وغاص ارمار ولم يظهر له اثر وكان صوت ابنتي يسمع من بعيد ، من وسط البحر المحفوف بالصخور ، باكية شاكية ، وتعالى صراخها متكررا لا ينقطع ماذا كان

ابوها عسيا ان يصنع ؟ لقد وقفت طول الليل على الشاطيء ، ورايتها في ضوء القمر الواهن ، وظللت أسمع صرخاتها طول الليل ، وللريح هزيم عال ، والمطر ينهمر على التل بكل قوة وقبل انبلاج الصبح ضعف صوتها، ثم تلاشى مثل نسيم المساء وسط العشب والصخور ماتت حزنا وغما ، وتركتك يا ارمين وحيدا ذهبت في الحرب قوتي ، وراحت مفخرتي بين النساء وعندما تثور العواطف ، وحينما ترفع ريح الشمال امواج البحر عاليا ، اجلس على الشاطيء ، وانظر الى الصخرة القاتلة وكثيرا ما ارى في ضوء القمر الجانح للمغيب أشباح ابني وابنتي ، اسيران جنبا إلى جنب منهمكين في حوار حزين وتوقف فيرتر من القراءة حينما رأى الدموع تنهمر من عيني شارلوت وتخفف عن قلبها الذي اضناه الأسى ، وألقى الكتاب من يده وامسك بيدها ، وبكي بكاء مرا واتكأت شارلوت على يدها ، ودفنت وجهها في منديلها ، فقد كان تأثرهما كليهما بالغا أشده ، لأنهما شعرا ان مصائب أبطال او سيان تصور قدرهما التعس شمرا بهذا كلاهما ، فنضاعفت دموعهما وأسند فيرتر جبينه الي ذراع شارلوت ، فارتجفت ، وارادت الخروج من البحيرة ، الا أن الأسى والحزن والتعاطف الحميم كانت كالمياء الثقيل على روحها وبعد قليل استعادت رباطة جأشها ، ورجت فيرتر بصوت يقطعه النحيب ان يتركها وحدها وتوسلت اليه بكسل حرارة ان يستجيب لطلبها ، فارتجف ؛ وكاد قلبه ينشق ، ثم تناول الكتاب مرة اخرى واستأنف القراءة ، بصوت تقطعه الزفرات والانتحاب لماذا توقظني ايها الربيع ؟ ان صوتك يناشدني هاتفا بي اني أنعشك بالأنداء السماوية ولكن أوان قنائي قد اقترب ، الان العاصفة التي ستذبل اوراقي وتسقطها باتت وشيكة القدوم وفسدا سيأتي المسافر ، سيأتي ذلك الذي رآني في نضارة الجمال ، وسوف يبحث عني في أرجاء الميدان ، ولكنه لن يجدني واصابت هذه الكلمات بكل قوتها فيرتر التعس ، فألقى بنفسه وقد

فاض به اليأس على قدمي شارلوت ، وأمسك بيديها ، وضمهما بقوة الى عينيه وعلى جبينه ، فخطر لها سه لاول مرة ما يدور بذهنه من اعتزام الموت ، فارتبكت حواسها ، وأمسكت بيديه ، وضمتهما الى صدرها ، ومالمت فوقه بأرق مشاعر الشفقة ، ولامس خدها الحار خده ، وغاب كل شيء عن ناظريهما ، فطوقها بذراعيه وضمها الى صدره ، وغمر شفتيها المرتجفتين بقبلات محمومة وهتفت شارلوت بصوت واه وهي تشيح عنه :فيرتر فيرتر وبيد واهنة دفعته بعيدا عنها ، فخر على ركبتيه أمامها، فنهضت شارلوت ، وبحزن مشوش ، وبصوت اختلط فيه الحب بالاستياء ، هتفت به - : هذه هي المرة الأخيرة با فيرتر لن تراني بعد الآن ثم رمقت عاشقها التعس بنظرة حنان اخيرة ، واندفعت الى الحجرة المجاورة وأغلقت الباب بالمفتاح ومد فيرتر ذراعيه ، ولكنه لم يجسر على ان يستبقيهما ، وظل راكما علي الأرض ، وراسه ملقى على الأريكة نصف ساعة ، الى ان سمع الصوت الذي رده الى صوابه ودخلت الخادمة ، فنهض وراح يذرع الحجرة ولما غادرت الخادمة الحجرة وتركته وحده أتجة الى باب شارلوت وقال بصوت خفيض : - شارلوت شارلوت كلمة واحدة اخيرة كلمة وداع اخير فلم ترد عليه جوابا فتوقف ، وأصغى ، وعاد يتوسل ، ولكن الصمت ظل سائدا ، وأخيرا انتزع نفسه من المكان صائحا : وداعا يا شارلوت وداعا الى الابد وظل فيرتر يجري حتى بوابة المدينة ، وكان الحراس يعرفونه فتركوه يمر في حسمت وكانت الليلة مظلمة وعاصفة والمطر والثلج يتساقطان بغزارة فوصل الى باب بيته في نحو الساعة الحادية عشرة ولاحظه خادمة دخوله بدون قبعته ، ولكنه لم يفامر بكلمة وعندما اخذ يساعده في خلع ملابسه ، لاحظ انها مبتلة وقد وجدت قبعته بعد ذلك على قمة صخرة تطل على الوادي ومن غير المتصور كيف تسنى له أن ينسلق الى هذه القمة في مثل هذه الليلة الحالكة العاصفة من غير أن يفقد

حياته وأوى فيرتر الى فراشه ونام الى ساعة متأخرة ولما استدعى خادمه في الصباح ليأتيه بالقهوة وجده منهمكا في الكتابة فقد كان يضيف الى رسالته لشارلوت بالسطور التي نوردها فيما يلي : للمرة الاخيرة افتح هاتين العينين وا أسفاه لن ترى هاتان المينان الشمس بعد الآن ، وهي الآن مغطاة بسحب كثيفة لا سبيل إلى النفاذ منها اجل ايتها الطبيعة البسي ثياب الحداد ، فطفلك ، وصديقك ، وعاشقك يدنو من نهايته أن هذه الفكرة يا شارلوت ليس هناك ما يضارعها ، ومع ذلك تبدوالي كحلم غامض عندما اكرر قولي : أن هذا يومي الأخير الأخير ي شارلوت ، وما من كلمة يمكن أن تعبر عن هذا الخاطر حق التعبير هانا اليوم اقف منتصبا بكل قوتي وغدا سأكون ملقى على الارض هامدا باردا اموت وما الموت ؟ كل ما يدور عنه في احاديثنا محض احلام وقد رأيت أناسا كثيرين يموتون ، ولكن طبيعتنا الضعيفة كثيرة القيود بالغة الضيق، فليس لدينا تصور واضح لبداية وجودنا ولا لنهايته انا في هذه اللحظة ملك نفسي - او بالاحرى ملك يمينك انت ي معبودتي - ولكن في اللحظة التي تليها سنفترق وتنفصم عرانا ، ربما الى الابد كلا يا شارلوت كلا ؟ كيف يمكن لي ، وكيف يمكن لك ، ان تتلاشى وننعدم ؟ نحن موجودان وما العدم ؟ ان هو الا كلمة صوت لا معنى له ، لا يترك في المقل انطباعا أترينني ميتا يا شارلوت ، مدفونا في الأرض الباردة ، في لحد مظلم ضيق ؟ لقد كانت لي يوما ما صديقة هي كل شيء لي في اول الشباب وماتت وتبعت تابوتها ، ووقفت بجوار قبرها عندما انزلوا فيه التابوت وعندما سمعت صرير الجبال حين فكت وجذبت ، وعندما القي اول رفش من التراب فوقه فكان لوقمه على اخشابه صوت اجوف ، اخذ يتضاءل شيئا فشيئا إلى أن غطاه التراب تماما ، عندئذ القيت بنفسي على الأرض ، وقد انصدع قلبي واعتصره الحزن والأسى ولكني لم اعرف ما الذي حدث ، ولا ما الذي سيحدث لي الموت القبر كلمتان لا افهم لهما

معني اغفري لي اغفري لي الأمس فذلك اليوم كان ينبغي أن يكون اخر يوم في حياتي ايتها الملاك لاول مرة في عمري شعرت بالنشوة تتقد في أعمق أعماق روحي انها تحب تحبني ولم تزل تحترق شفتي تلك النار المقدسة التي استقبلناها من شفتيك دفقات جديدة من الحبور تتملك روحي سامحيني سامحيني كنت اعرف انني عزيز عليك رايت ذلك في نظرتك الأولى النافذة، وعرفته من أول ضغطة من يدلك ولكن عندما كنت أغيب عنك ، وعندما كنت ارى البرت الى جوارك ، كانت شكوكي ومخاوفي تعاودني اتذكرين الأزهار التي أرسلتها الي ، عندما اعجزك في ذلك الجمع المحتشد أن تكلميني أو تمدي الى يدك ؟ لقد قضيت نصف تلك الليلة راكما على ركبتي أمام تلك الأزهار ، ارى فيها براهين حبك ، بيد أن هذه الانطباعات تضاءلت بعد ذلك ، وانتهت الى التلاشي كل شيء الى زوال وانقضاء ، ولكن الابدية بأسرها لا يمكن أن تخمد الشعلة الحية التي أذكتها بالامس شفتاك ، والتي تتقد الان في داخلي أنها تحبني هاتان الذراعان قد طوقنا خصرها ، وهاتان الشفتان ارتجفتا فوق شفتيها انها لي اجل يا شارلوت ، انت لي الى الابد وما معنى قولهم ان البرت زوجك ؟ أنه قد يكون كذلك في ه ذا العالم ، وقد يكون اثما وخطيئة أن أحبك في هذا العالم واصبو الي انتزاعك من احضانه اجل ، انها جريمة ، وأنا الآن أعاني عقوبتها ، ولكني استمتعت بكل حلاوة انمي لقد استنشقت بلسما أنعش روحي انت من هذه الساعة لي أجل يا شارلوت انت لي وانا الان ذاهب قبلك ذاهب الى ابي وأبيك وسأسكب احزاننا امامه ، وسوف يمنحني العزاء والراحة الى ان تأتي انت وعندئذ سأطير لملاقاتك وأطالب بك ، وابقى بين أحضانك الابدية ، في حضرة العلي القدير لست حالما ولا أنا أهذي فباقترابي من القبر تزداد تصوراتي ومدار كي وضوحا سنو جد ، وسيرى كل منا الاخر من جديد وسنرى والدتك سأراها ، وسأعرى امامها

دخيلة قلبي والدتك امسك التي هي صورة منك وفي نحو الساعة الحادية عشرة سأل فيرنر خادمه هل عاد البرت ، فأجابه نعم، لانه كان قد رآه مارا على صهوة جواده ، وعندئذ ارسل اليه فيرتر الكلمة التالية ، في ظرف غير مختوم غير مغلق كرم با قراضي غدار تيك لاعتزامي سفر ، وداعا كانت شارلوت لم تتم الا قليلا في الليلة الماضية ، لأن كل توجسانها تحققت على نحو لم يكن من الممكن ان تتوقعه أو تتحاشاه وكان دمها يغلي في عروقها ، والف احساس اليم يعتصر قلبها النقي هل ما تشعر به في صدرها من اتقاد انما هو بتأثير ضمات فيرتر المحمومة ؟ ام ه و الغضب التجاسره على ذلك ؟ ام هي المقارنة المحزنة بين حالتها الراهنة وبين تلك الأيام الخوالي التي سادتها البراءة والطمأنينة والثقة بالنفس ؟ كيف يمكنها الان ان تدنو من زوجها ، ونعترف له بمشهد ليس من حقها أن تخفيه عنه ، ولكنها مع هذا تشعر بعدم رغبتها في الاعتراف به ؟ لقد لزم كل منهما الصمت طويلا بازاء الأخضر ، فهل ينبغي أن تكون هي البادئة بهتك حجاب هذا الصمتا بمثل هذا الاكتشاف غير المتوقع ؟ انها تخشى أن يكون مجرد انبائه بزيارة فيرتر سببا في تكديره واضطرابه ، وان يزداد ضيقه وكربه بصراحتها الكاملة وتمنت أن تتسنى له رؤيتها على حقيقتها، وأن يحكم عليها بدون تحيز ولكن اهي حقا متلهفة على أن يقرا أعماق روحها وسريرتها ؟ ومن جهة أخرى، أمستطيعة هي أن تخدع مخلوقا كانت جميع افكارها مكشوفة له على الدوام ، كالبللور الشفاف ، فلم يحدث قط أن اخفت عنه شعورا من مشاعرها ؟ كل هذه الخواطر اقلقتها واهمتها وظل عقلها يفكر في فيرتر الذي فقدته الان ، ولكنها لا تستطيع أن تحمل نفسها على التنازل عنه ، وتعلم في الوقت نفسه انه لن يبق له شيء سوى اليأس ، ان هو فقدها الى الابد وتذكرت تلك المباعدة الغامضة التي رانت اخيرا بينها وبين البرت ، والتي لم تستطع قط ان تفهمها تمام الفهم ، ففدت في نظرها الأن شيئا اليما،

يتجاوز المه كل حد والحريصون والطيبون الذين ترددوا ـ قبل الان ـ في شرح و تفسير ما بينهم من خلافات ، ولزموا الصمت ح ول اسباب سخطهم الوهمي ، كثيرا ما تتعقد الظروف بعد ذلك بحيث يغدو التفاهم الكفيل بانقاذ الموقف مستحيلا فلو ان الثقة الحميمة توثقت قبل الان فيما بينهم ، ولو كان الحب والتجلد الحنون قد اذكيا قلوبهم ووسها من آفاقها ، فكان من المحتمل الا يكون اوان انقاذ صاحبنا قد فات ادا ولكن ينبغي الا ننسى ظرفا بارز الاهمية فمن رسائل فيرتر قد يمكننا أن نلاحظ انه لم يتكلف قط اخفاء رغبته المتلهفة على مغادرة هذا العالم وكثيرا ما ناقش هذا الموضوع مع البرت ٠ بل لم يكن ه ذا الموضوع النادر التداول في أحاديث البرت مع شارلوت وكان البرت مناهضا تمام المناهضة لمجرد التفكير في مثل هذا العمل ، وكان يحتد في التعبير عن ذلك بصورة غير معهودة فيه ، بل انه أكثر من مرة المح الى فيرتر بأنه لا يؤمن بجدية تهديداته ، ولم يكتف بالسخرية منها ، بل وجعل شارلوت ايضا تشار كه الرأي بعدم تصديقها ولذا كان قلبها مطمئنا عندما يتراءى لها هذا الموضوع على شيء من الجدية ، وان كانت لم تذكر لزوجها قط تلك المخاوف والتوجسات التي كانت تخامرها احيانا واستقبلت شارلوت البرت عند عودته بتحرج وضيق لم تحسن اخفاءهما وهو ايضا كان منحرف المزاج ، لأن صفقة العمل لم تتم ،واكتشف أن ذلك الموظف الذي كان عليه أن يتعامل معه شخص عنيد ضيق الافق وهكذا اصطلحت اشياء كثيرة على اثارة حنقه وسألها أحدث شيء أثناء غيابه ، فبادرت شارلوت الى القول أن فيرتر حضر في الليلة السابقة وعندئذ سألها عن خطاباته ، فقالت له ان عددا منها قد وضع في حجرة مكتبه ، و عندئذ غادر الحجرة تاركا شارلوت وحدها والقى حضور الشخص الذي تحبه وتبجله انطباعا جديدا على قلبها ، فهد تذكرها واستحضارها لكرمه وحنانه ومودته من اضطرابها ، واحست دافعا خفيا

بدعوها أن تتبعه ، فحملت اسفال ابرتها وتوجهت الى مكتبه ، على نحو ما كان من عادتها أن تفعل في كثير من الأحيان ووجدته مشغولا بفض خطاباته وقراءتها وبدا لها أن بعض تلك الرسائل لم يكن مستحباء فألقت عليه بضعة اسئلة ، أجابها عنها بايجاز ، ثم جلس ليكتب ومرت عدة ساعات على هذه الوتيرة ، فزادت مشاعر شارلوت انقباضا وأحست مبلغ صعوبة الإفضاء الى زوجها - مهما كانت الظروف - بالعبء الذي يثقل قلبها وراح اكتئابها يتعاظم لحظة بعد لحظة ، كلما أمعنت في محاولة اخفاء حزنها ودموعها وسبب لها حضور خادم فيرتر اشد الضيق وسلم الخادم البرت رسالة صغيرة ، اعطاها البرت ببرود لزوجته ، وهو يقول لها : ـ اعطه الغدارتين قائلا : ثم التفت إلى الخادم واردف - وأتمنى له سفرا سعيدا فوقعت هذه الكلمات على شارلوت وقع الصاعقة ، فنهضت مسن مقعدها نصف مغشي عليها غير شاعرة بما تصنع ومشت بطريقة آلية الى الحائط ، وانزلت الغدار تين مرتجفة ، ونفضت عنها التراب ببطء ، وكانت حرية أن تبطيء اكثر من ذلك لولا أن البرت تمجلها بنظرة تدل على نفاد الصبر ، وعندئذ سلمت السلاح الى الخادم ، من غير ان تواتيها القدرة على التلفظ بكلمة وما أن خرج الخادم حتى طوت اشغالها، واوت فورا الى حجرتها ، وقد تكاثرت اعنف الهواجس ونذر الشر على قلبها فقد توقعت كارثة فظيعة واو شكت في لحظة من اللحظات ان تذهب الى زوجها ، وتلقي بنفسها عند قدميه وتخبره بكل ما حدث في الليلة السابقة ، معترفة بخطئها ، وتعر فه بتوجساتها ، ثم رأت أن مثل هذه الخطوة عديمة الجدوى ، لأنها لن تفلح في اقناع البرت بزيارة فيرتر واعدت مائدة الغداء ، وكانت هناك صديقة رقيقة اقنعتها شارلوت بالبقاء كي تدب الحياة في حديث المائدة الذي ظل مع هذا متعثرا ، إلى ان تنوسيت احداث الصباح ولما اتي الخادم فيرتر بالغدار تين ، تلقاهما بحبور شديد لا عرف ان شارلوت هي التي

قدمتهما اليه بيدها وأكل شيئا من الخبز ، وشرب شيئا من النبيذ ، وصرف خادمه ليتناول غداءه وجلس ليكتب ما نورده فيما يلي : لقد كانتا في يديك وأنت التي نفضت الغبار عنهما لهذا اقبلهما الف قبلة ، لانك لمستهما اجل ان السماء تؤيد ما اعتزمته وها انت يا شارلوت تقدمين لي هذه الوسائل المميتة بنفسك لقد كانت امنيتي أن آتلقى منيتي من يديك ، وها هي رغبتي قد تحققت لقد سألت خادمى، فقال انك كنت ترتجفين وانت تقدمين له الفدارتين ، ولكنك لم تذكري كلمة توديع واحدة لي يا لي من تعس الا كلمة وداع واحدة ؟ كيف تسني لك أن تغلقي قلبك دوني في تلك اللحظة التي ستجعلك لي الى الابد ؟ أواه يا شارلوت ؟ أن المكسور لا يمكنها أن تمحو هذا الانطباع ٠٠ انطباع انك لا يمكن ان تكره الرجل الذي يحبك بجنون وبعد الغداء استدعى خادمه و كلفه بالانتهاء من حزم الأمتعة ، واحرق اوراقا كثيرة ، ثم خرج للوفاء ببعض الديون الصغيرة ، وسرعان ما عاد بعد ذلك إلى البيت ، ليخرج ثانية برغم المطر ، فتمشي برهة في حديقة الكونت ، ثم خرج وجعل يتجول في الخلاء وقبيل المساء عاد الى البيت ، واستأنف الكتابة وفلهلم لقد رايت الجبال والغابات والسماء للمرة الأخيرة وداعا وانت يا امي العزيزة ، سامحيني عزها يا فلهلم ، بارك الله فيك، لقد سويت جميع شئوني وداعا وسنلتقي مرة اخرى ، ونكون اسعد من أي وقت مضى لقد آذيتك كثيرا يا البرت ، ولكنك ستغفر لي لقد كارت س لام بيتك ، وبذرت عدم الثقة فيما بينكما وداعا سأنهي كل هذه التعاسة وليت موتي يسعدكما البرت البرت اسعد هذا الملاك ، ولتحل عليك بركة السماء وقضى بقية المساء في ترتيب أوراقه ، ومزق واحرق الكثير ، وختم بالسمع أوراقا أخرى ، ووجهها الى فلهلم وكانت فيها خواطر وأقوال مأثورة وقد قرأت بعدها بامعان وفي الساعة العاشرة أمر باشعال ناره ، و باحضار زجاجة نبيذ ثم سر ف خادمه ، وكانت حجر ته وحجرات سائر الأسرة في

ناحية اخرى من الدار واستلقي الخادم بنيابه كي يكون منا هيا بأسرع ما يمكن للانطلاق في الرحلة المزمعة عند طلوع النهار ، فقد انباه سيده ان خيول البريد ستكون أمام الباب قبل السادسة وها قد تجاوزت الساعة الحادية عشرة وكل شيء ساكن فيما حوليا ونفسي هادئة اشكرك يا ربي لانك منحتني القوة والشجاعة في هذه اللحظات الاخيرة هانا اقترب من النافذة يا اعز الاصدقاء ، ومن خلال السحب التي تسوقها الرياح سوقا سريعا في هذه اللحظة اري النجوم التي تضيء سماوات الابدية كلا لن تسقطي ايتها الأجرام السماوية ، الان يد القادر العلي تسندك وتسندني وقد نظرت للمرة الأخيرة الي مجموعة الدب الاكبر ، فهي نجمي الفضل ، فعندما ودعتك ليلا يا شارلوت ، وأبعدت خطواتي عن بابك كان هذا النجم ساطعا فوقي ولكم نظرت اليه في بعض الأحيان بانتشاء وحبور ولكم ناشدته بيدين مرفوعتين الى السماء أن يشهد على هنائي ولكن اين هو الشيء الذي لا يذكرني بصورتك يا شارلوت ؟ الست محيطة بي من جميع الجهات ؟ او لم اكتنز - كالطفل - كل صغيرة وكبيرة اكتسبت في نظري القداسة بلمسك اياها ؟ وقد توسلت الى ابيك أن يحمي رناتي في ركن فناء الكنيسة المطل على الحقول شجرتا زيز فون هناك يا شارلوت اود ان د فن ويستطيع ابولك بلا شك أن ييسر ذلك لصديقه فالتمسي منه هذا ولكن لعل اتقياء المسيحيين لا يودون ان توارى أجسادهم التراب قرب منكرد مسكين مثلي فاذا كان الأمر كذلك أبعدوني الى واد مهجور ، أو قرب الطريق الخلوي العام، حيث يمر الكاهن واللاوي بقبري مستعينين اما السامري فيدرف على مصيري دمعة انظري يا شارلوت لست ارتجف وانا أتناول الكأس الباردة المميتة ، التي منها سأشرب جرعة الموت يدك هي التي تقدمها لي لهذا لست أرتعد لقد ختم الأن كل شيء ، وآمال عمري وأمانية قد تحققت وبيد باردة غير محجمة أطرق أبواب الموت احظاني بسعادة الموت لاجلك لكم كنت خليقا

ان اسر بتضحية نفسي لك يا شارلوت وليتني أعيد السلام والحبور الى قلبك ، اذن بكل العزم وبكل السرور كنت القى مصيري ولكن القلة المختارين هم الذين يسفكون دمهم في سبيل اصدقائهم ، ويكتب لهم ان يزيدوا بموتهم سعادة محبوبيهم الف ضعفا واريد يا شارلوت ان ادفن في الثوب الذي ارتديه الان ، فقد اكتسب قداسة من المسك اياه وقد طلبت تلك الحظوة ايضا من ابيك ، ان روحي تحلق فوق لحدي ولا اريد ان يفتش احد جيوبي وهناك تلك الأنشوطة من الشريط الوردي الذي كنت ترتدينه فوق صدرك اول مرة رايتك فيها ، والاطفال من حولك قبليهم الف مرة نيابة عني ، وابلغيهم مصير صديقهم المنكود يخيل الي اني اراهم يلعبون من حولي با للاطفال الاعزاء لكم تعلقت بك بكل حرارة يا شارلوت مند الساعة الأولى التي رايتك فيها وكم استحال على ان افارقك تلك الأنشوطة يجب أن تدفن معي ، فقد كانت هديتك الي في يوم عيد ميلادي لكم يبدو كل شيء مختلطا وما كان يخطر ببالي اني سأسلك هذا الطريق ولكن ليحل عليك السلام يا شارلوت والغدارتان محشوتان والساعة تدق الثانية عشرة وانا اقول آمين شارلوت شارلوت وداعا وداعا ورای احد الجيران الومضة ، وسمع دوي الغدارة ، ولكن لم يلبث السكون ان ساد ، فطرد ما رای وما سمع من ذهنه وفي الصباح ، في الساعة السادسة ، دخل الخادم حجرة فيرتر وفي يده شمعة ، فألفي سيده ممددا على الأرض ، غارقا في دمه ، والغدارتان الى جانبه وناداه واحتواه بين ذراعيه ، ولكنه لم يفس ز بجواب ولم تكن الحياة قد فارقته بعد ، فأسرع الخادم الى جراح ، ثم ذهب لإحضار البرت وسمعت شارلوت صوت الجرس ، فاستولت عليها قشعريرة باردة ، وأيقظت زوجها ، ونهض الاثنان وافضي الخادم الفارق في دموعه اليهما بالنبأ ، فوقعت شارلوت مغشيا عليها تحت أقدام البرت ولا اتى الجراح الى فيرتر العائر الحظ ، وجده لم يزل راقدا على الأرض ، و قلبه ينبض ، بيد أن أطرافه

كانت باردة وكانت الرصاصة قد دخلت من الجبهة فوق العين اليمنى ، واخترقت الجمجمة وكان شريان في ذراعه اليسرى مفتوحا والدم يسيل منه ، ولم تزل انفاسه تتردد ولما كان هناك دم يتساقط من فوق الكرسي ، فلا بد أنه أقدم على فعلته الطائشة وهو جالس الى مكتبه ، ثم سقط بعد ذلك على الأرض حيث وجد ممددا على ظهره قرب النافذة ، بملابسه الكاملة وعلى الفور ساد الاضطراب الدار ، والجيرة ، والمدينة كلها ، ووصل البرت وكانوا قد سجوا فيرتر في فراشه ، وربطوا دماغه بالضمادات، وعلت وجهه صفرة الموت وأطرافه لم يكن بها حراك ، ولكنه لم ي زل يتنفس ، بقوة احيانا ، وفي وهن احيانا اخرى وصار موته متوقعا في اي لحظة وكان قد شرب كوبا واحدا من النبيذ وزجاجته المفتوحة فوق المكتبة ولن اقول شيئا عن نكد البرت او عن حزن شارلوت واسرع ناظر الزراعة الشيخ الى الدار فور سماعه بالنبأ ، وعانق صديقه المحتضر وسط فيض من الدموع ، وسرعان ما حضر الكبار م ن اولاده راجلين و في حزن لا يوصف جثوا على ركبهم بجوار سريره ، وقبلوا يديه ووجهه وكان اكبرهم آثرهم عنده ، فتعلق به الى ان فاضت روحه ، ولم يبعدوه عنه بعد ذلك الا قسرا وفي الساعة الثانية عشرة لفظ فيرتر انفاسه الأخيرة وكان لحضور ناظر الزراعة والاحتياطات التي اتخذها اثرهما في منع الإزعاج وتحت جنح الليل ، في الساعة الحادية عشرة ، اجري مواراة الجثمان في المكان الذي اختاره فيرتر لنفسه وتبع ناظر الزراعة واولاده الجثمان الى القبر ولم يتمكن البرت من مرافقتهم ، فقد كانت حياة شارلوت ميئوسا منها وقد حمل بعض الفلاحين الجثة ، ولم يحضر الدفن قسيس